

شريعة الإسلام

لماذا اخترت الإسلام دينا

محمد فؤاد الراشدي

الناشر،
دار الحرية

الإهداء

الى روح النبى محمد الذى أخرج الناس من الظلمات الى

النور بأذن ربهم وهداهم الى صراط مستقيم .

الى ارواح السلف الصالح من الصحابة والتابعين الذين

أقنوا ذواتهم فى الله حتى كانت كلمة اللهى العليا وكلمة

الذين كفروا هى السفلى .

الى روح أستاذى الذى كان سبب هدايتى الى طريق الايمان

فضيلة المغفور له الشيخ يوسف الدجوى .

الى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

الى كل من ساهم فى اخراج هذا الكتاب .

الى هؤلاء جميعا باسم الله وعلى بركة الله أهدى «سراسلامى»

المؤلف

محمد فؤاد الهاشمى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الدسوقي

ان البحث عن الحقيقة طريق القلوب الكبيرة والعقول المستنيرة
ولولا ما قبض الله للبشرية من زواد لهذه الحركات على مر العصور
لضلت السبيل وتنكبت الجادة .

وما كان المصلحون ولا أصحاب الدعوات الا هداة الى هذه
الحقيقة وحراسا عليها ، ولقد يقبل القول منهم ويرد ، ويفتح له
أقوام قلوبهم ويقول آخرون قلوبنا غلف ، ولكن الذى لا مرية فيه
أن الكون أجمع ناطق بخلود هذه الحقيقة وبقائها تتحدى قوى
الباطل مهما عظمت وقويت وتسمو على ما فى الحياة من فضول
ووهن ، حتى يكون لها الغلب ويفيء الباطل الى رشده وتكون
للحق الكلمة ولأعدائه الخذلان ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو
كره المبطلون .

والكتاب الذي بين أيدينا لون فريد من ألوان البحث يروي قصة الصراع المرير بين نزعات متضادة لكل منها أنصار إلى أن يخلص إلى تجلية الحقيقة التي من أجلها ضحى صاحبه بجميع ما يعتز به الذين أخلدوا إلى الأرض واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا . مهاجرا إلى الله ورسوله إلى حيث الطمأنينة واليقين في رحاب العقيدة الإسلامية المصفاة عقيدة التوحيد الخالص التي لها عاش محمد بن عبد الله وصحبه ، وفي سبيلها جاهد حتى أتاه اليقين .

قال أولئك الذين استهوت أفئدتهم المبادئ الزائفة واستحوط عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله وران على قلوبهم ماكانوا يكسبون فضلوا على علم واتخذ كل منهم الهه هواه .

إلى أولئك الذين تنكروا لكل المبادئ والقيم ولووا رءوسهم يصدون عن السبيل ويبغونها عوجا ، إلى كل أولئك نسوق قول الله سبحانه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ، « ربنا آتنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا » .

ربنا آتانا من لذك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا .

قيمة العقل في اعتبار الإسلام

كلمة لفضيلة الأستاذ عبد الرحمن النجار

مدير عام المساجد

من البدهيات التي لا يشك في صدقها انسان ان لفظه واحد
«اذا اطلق ، لايدل على أن هناك مشاركا له في العديّة ، كما أن
لفظ ثلاثة لايمكن أن يؤدي الى واحد أبداً . . من هنا نستطيع أن
نقول : ان الايمان بالوحدانية هو مقتضى العقل السليم ، لذلك
تجد العقيدة الاسلامية عقيدة العقل والفكر والمنطق السليم فالدين
الاسلامى دين عقلى ، واذا تصفحت القرآن ، وتلوت قدرا منه
وجدت الآيات تلو الآيات تطلب الى الانسان أن يفكر ويتدبر ،
وينظر ويتأمل ، وأن يعتبر ويستنبط وما الى ذلك من أعمال العقل
وظائفه .

ولقد جعلت المعرفة في الاسلام شرطا للايمان ، فمن اعتقه
من غير فهم ومعرفة لم يكن خيرا بكثير من غيره ، والاعتقاد الحق
هو الذى ينشأ عن دليل وعن فهم واختيار ، وليس الموروث أو
الناشئ عن اضطرار أو عن التقليد المجرّد ، ولقد كان الاسلام هنا
ثورة على الجمود العقلى الذى كان سائدا في كثير من الصور ،
من اتباع الآباء ورجال الكهنوت فيما كانوا يعتقدون ويرفضون .

الاسلام رفض ما كان سائدا في العصور الوسطى
 في الجماعات غير الاسلامية ، حينما كان المهيمن على أمور الدين
 يقول لتابعه : أغمض عينيك واتبعني ، لأن ذلك امتهان لكرامة
 الانسان كانسان له عقله و ارادته واختياره ، وأن عقيدة التوحيد
 في الاسلام ، تعطى للانسان قيمته ، وتحدد مكانته في الحياة .
 فحينما يعلن هذا النداء : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان
 محمدا رسول الله ، يشهد الدنيا كلها أنه لا يخضع الا لاله واحد
 خالق قادر ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، وبعد ذلك هو
 سيد في هذه الحياة ، لا يستذل لفرد ، ولا يمنح القيمة لجاه أو
 مال أو سلطة ، ولا يلين أمام ضغوط فكرية أو اقتصادية أو
 اجتماعية ، وان صادفته تحديات وقف امامها قويا صلبا بعقيدته
 وايمانه . والامة التي تتكون من أفراد لهم هذا المبدأ وذلك الايمان
 أمة مثالية تعيش عزيزة في دنيا الناس . وماأحوجنا - نحن
 اتباع عقيدة الاسلام - الى أن نتزود من تعاليم ديننا وأن نفيد من
 توجيهاته ، حتى نحقق الخيرية التي أرادها الله لهذه الأمة في
 قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس . تامرون بالمعروف
 وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وبين يديك أيها القارئ العزيز كتاب : « سر اسلامي » وهو
 أحد المشاعل التي تضيء للسائرين طريق الحقيقة ، وتقودهم الى
 معالم النور فاقرأه بعقلك . . . وتفكر في وضع أمتك الاسلامية
 بين الأمم .
 (قل انما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم
 تتفكروا)

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا الى نعمة الايمان به « من يهد الله فهو المهتدى ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا » (١)

وأشهد أن لا اله الا الله يهدى لنوره من أراد أن يعتصم به « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » (٢)

سبحانك ربى رضيت لنا الاسلام ديننا وبعثت فينا محمدا بشيرا ونذيرا . ذكرته فى كتبك المنزلة على رسلك الذين سبقوه « الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل . يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم » (٣) اللهم صل وسلم وبارك على ذلك النبى محمد النور الهادى المبين ، وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .

أما بعد :

-
- (١) سورة الكهف آية : ١٧ . (٢) سورة آل عمران آية : ١٠١ .
(٣) سورة الاعراف آية : ١٥٧ .

كان من فضل الله على أن شرح الله صدرى للإسلام (فمن)
يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام (١) وبذلك كنت على
نور من ربي « فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من
ربه » (٢) .

فكان من ألزم الواجبات التي أراها فرض عين أن أشكر المنعم
الذي أنعم على بنعمته الكبرى أن هداني للإيمان (قل لا تمنوا على
إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) (٣)

وصدق إيمان المؤمن يتجلى في عمله ، ومن أجل الأعمال
التي يقوم بها المؤمن نشر رسالة الله عز وجل وتفنيد المزاعم التي
يزعمها أعداء الله ، وإظهار الحقائق التي طمست معالمها فغابت
عن أهل الملل والنحل والأديان الأخرى ، حتى يفيق الذين يتاجرون
بالأديان ليرجعوا عن غيهم إن أراد بهم ربهم رشداً .

وكذلك وجدت أنه من ألزم المستلزمات أن يكون بين يدي
المسلم الذي يريد أن يجلو غوامض ما آلت إليه هذه الملل والنحل
على يد كهنتها وقادتها الذين وضعوا المصباح تحت الكيال .
وأخضعوا الحقيقة تحت ظاهرة الاختفاء وراء ستار من الطقوس
والإقانيم كتاب بقلم عبد من عباد الله آتاه الله هدى وعلماً هون
عليه ترك دين آبائه وأجداده يشرح فيه الدوافع التي دفعته
للإيمان ، ويضمنه الأسباب التي زجت به في معركة فكرية عاتية

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٥ (٢) سورة الزمر آية : ٢٢

(٣) سورة الحجرات آية : ١٧ .

اقتلته من براثن الشرك وأحوال الضلال فصيرته من رجل يضمر
العداء للإسلام وأهله إلى مجاهد في سبيل رفع كلمة الله ونصرة
الإسلام ، وحولته من واقف يلصق بالاسلام وبنية التهم الكاذبة
إلى معتل المناير في موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو الناس إلى التمسك بدينهم والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم
«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» (١)

وليس هذا بمستغرب حيث قطرة من بحر فيض الله تملأ الأرض رية
ونظرة من عين رضاه تصير الكافر وليا .

وهاهي رسالتي (سر اسلامي) أكتبها للمسلم الذي لم يعرف
بعد ، أن دينه الحق إذا مس شغاف قلوب الباحثين وأشع بنوره
على العقول الصافية ، قاد هؤلاء الباحثين عن وعى تام وإدراك
سليم إلى الإيمان به والتفاني في سبيل الدعوة إليه والتضحية
في سبيل إعلاء كلمته بالنفوس والنفيس من الأرواح والمال (إن
الله اشقرى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (٢)

كما أكتبها لأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين طمست
الكهانة أعينهم ، ليعلموا أن كتبهم التي بين أيديهم بصرف النظر
عن صحتها أو تحريفها قد اعترفت في أكثر من موضع سواء
كان ذلك في أسفار العهد القديم أو في رسائل العهد الجديد أو في
كتب التاريخ المعتمدة منهم والتي تعتبر من أهم مراجعهم بنبوة

(١) سورة الاعراف آية : ٤٣ (٢) سورة التوبة آية : ١١١

محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنهم لو التزموا الحيادة التامة لوجدوا أن الاسلام صاحب السلطان على النفوس التي خلصت من شوائب العناد ، وسيطرة الاغراء المادى والدنيوى وبعد أن تكون قد توفرت لها عوامل الحيادة التامة ، وتحررت من نير الذل والعبودية بجميع أنواعها وأصبح الانسان وهواه تبعا لارادة الله عز وجل فيعود الى فطرته التي فطره الله عليها (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) وأن سلفهم لو استمعوا الى الدعوة بأذان متفتحة حينما دعاهم نبي الهدى الى الايمان مأمورا من ربه ﴿ قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ﴾ (٢).

لما كانت بى حاجة الى كتابة هذه الرسالة للخلف الذين ورثوا الجحود والجمود الدينى نتيجة عدم تكليفهم أنفسهم مشقة البحث عن الحقائق الهادية الى سواء السبيل .

وقد آليت على نفسى أن يكون هذا الكتاب رسالة واضحة المعالم محددة الهدف على أن تكون مرآة ساطعة تظهر صفحاتها وضاعة بنور الحق الذى هديت اليه ، دون النيل من أى دين أو مبدأ أو مذهب الا بالقدر الذى يكون ضروريا لظهار الحق واضحا جليا ، ودون التعرض الى النواحي التي تناولتها المؤلفات

(١) سورة الروم آية : ٣٠ (٢) سرة آل عمران آية : ٦٤ .

من قبل ، لأن التجارب التي مررت بها فى فترة الصراع الفكرى أدلة قاطعة وبراهين ناصعة ومعان ملموسة وصور مجسمة تصرخ كلها بالجرائم البشعة التى ارتكبتها قادة الشرائع التى سبقت الاسلام ، فقد انحدر الكهنة ورجال الدين بالأديان وخرجوا بها بعيدا عن الطرق التى رسمتها تلك الشرائع .

وأكتب أيضا هذه الرسالة الى الماديين الذين يجادلون فى الله بغير علم فينزعون الى المماراة فى وجود الله وينظرون الى الأديان على أنها مسكنات لاتباعها ، وعكفوا على هواهم واتبعوا كل شيطان وخدعهم البريق الاخاطف فانخدعوا بالمظاهر الكاذبة التى أعمتهم فجعلتهم لا يرون الحقيقة التى تقول أنهم ماضون الى عذاب السعير (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير) (١) .

أكتب هذه الرسالة الى هؤلاء وأولئك لأبين لهم من وحى ايمانى بعد الدراسة العميقة والرغبة التى صحبت هذه الدراسة فى الوصول الى حقيقة الأمر الذى فيه يختلف الناس كل يحاول النصر لملته أو نحلته أو اظهار دينه باعتبار أن دينه الحق وأن باقى أصحاب الأديان الاخرى فى ضلال مبين مما حدا بى الى الحيدة التامة والتزام صفة القاضى الذى يريد أن ينصف نفسه فيختار طريق العدالة الذى يرتاح اليه ضميره ، فتجردت من كل دين وتحررت من كل عقيدة وذلك بعد أن استولت على الشكوك

(١) سورة الحج آية : ٣ ، ٤

قيما أدين وبدأت تمحيص كل شيء والبحث في كل شيء فتعرضت
لمدين يقول الله ثلاثة أو ثالث ثلاثة ، وصدمت بأن الله سفك دمه
على الصليب تارة وأن ابنه هو الذى صلب تارة أخرى كما تفتحت
عيني على أن غفران الله متوقف على ارتكاب جريمة قتل ، كما
علمت أن كل بنى آدم مظلومون لأنهم خرجوا من صلب من عصي
الله فورثوا الخطيئة فاستحقوا العذاب . فكان لزاما على العقل
المستنير أن يشك ، بل يكفر لأنه لا يمكن أن يقتنع بترهات جعلت
من الاله والدا وولدا يطبق عليه ناموس الحياة الذى يطبق على
البشر .

ثم وجدت ديننا يقول : الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد . لا يؤله نبيا ولا يقدر بشرا ، وأن
كل عبد محاسب عما قدمت يداه . لا يجزى والسد عن ولده ،
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا . وأن المغفرة من شأن الله عز
وجل . وأن باب الامل مفتوح على مصراعيه لكل تائب منيب الى
ربه وأن العبد لا يرث خطيئة عن سلفه .

وجدت ديننا قيما يجمع بين توجيه الانسان فى دنياه وصنعه
لاخراه ، نظم حياة الفرد والجماعة وتدخل فى كل شئون الحياة
بحيث لا تطغى الدنيا على الآخرة ولا الآخرة على الدنيا .

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
وأحسن كما أحسن الله اليك) (١)

(١) سورة القصص آية : ٧٧

كما وجدت كتابا منزلا يهدي الى الرشيد لا ريب فيه هدى للمتقين يتناول كل شيء وما فرط فى شيء ، فيه نبأ السلف وخير الخلف . فيه حكم وأحكام فى احكام ، يهدى الى الصراط المستقيم لا تلتبس به الألسنة ، ولا تزيغ به الاهواء ، ولا يشبع منه العلماء ولا تنتهى حكمه ولا أحكامه ولا عجائبه ، ذلكم هو القرآن الكريم الذى نزل روحا من عنه الله على نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الأمور) (١)

ووجدت نبيا لم يدع الألوهية أو النبوة لله ، بل ذكر عنه فى القرآن أنه عبد الله ورسوله ، وذكره أصحابه على أنه عبد الله ورسوله (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) (٢) وكذلك أمر فقال (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا) (٣) ومن الشك كانت البداية ، بداية اليقين . ومن الدراسة كان الايمان كما آمن الانس والجن من قبل .

(١) سورة الشورى آية : ٥٢ ، ٥٣

(٢) سورة الاسراء آية : ١ (٣) سورة الكهف آية : ١١٠

« قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا
عجبا يهدى الى الرشدا فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » (١) « ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا » (٢)

وانتهى بى أن أسلمت (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور) (٣) وحين
أسلمت كان لابد من الايمان (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا) (٤) اذن الاسلام عقيدة والايمان عمل .
ولن يكون العبد مؤمنا حقا الا اذا عمل لدينه وجاهد فى سبيله
بنشر دعوة الله عز وجل لأنه بإيمانه يكون من أتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوارث لتلك الرسالة الخالدة التى تعتبر
الدعوة اليها فرض عين على كل مسلم ومسلمة .

« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى » (٥)
« ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اننى
من المسلمين » (٦)

فالى العالم شرقيه وغربيه بجميع أديانه ومبادئه أقدم كتابى
مستهديا ربى ، مستهدفا الخير فيما أكتب ، داعيا الله عز وجل
أن يجعل هذا العمل المتواضع مقبولا عنده خالصا لوجهه .

(١) سورة الجن آية : ١ ، ٢ (٢) سورة آل عمران آية : ١٩٣

(٣) سورة لقمان آية : ٢٢ (٤) سورة الحجرات آية : ١٤

(٥) سورة يوسف آية : ١٠٨ (٦) سورة فصلت آية : ٢٣

وان كان هناك قصور فمعدرة لأخى القارىء وأسأله أن يسأل
الله معى أن يهدينى سواء السبيل ، لأنى ان قصر رأىى أو ضعف
عملى افتقرت الى رحمته • لأنى أردت أن أضىء ولو شمعة صغيرة
خيرا من أن أجلس مع من يسبون الظلام ؟

اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم
حاجتى فاعطنى ايمانا يياشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه
لا يصيبنى الا ما كتبت لى ، ورضى بما قسمت لى ، واجعل
سريرتى خيرا من علانيتى وعلانيتى سالحة •

وادعو الله أن ينفخ فى جهدى المتواضع روحا من عنده •
وانى لأشعر بالراحة لانى بكتابى هذا أكون قد أديت بعض
ما على من دين نحو دينى وربى انه نعم الموفق ونعم المولى ونعم
النصير . . .

المؤلف

محمد فؤاد الهاشمى

الفصل الأول

الدرج الأول

يقول علماء النفس أن البيئة
هي المدرسة الأولى التي تغرس
في النفوس العادات التي قلما
يقلع عنها الانسان الا بالتطبع
والتعليم والتهذيب والتوجيه
السليم . وكل هذا يحتاج الى
جهد جهيد .

فكان لزاما على أن أضع بين
يدي القارئ لمحة الى البيئة
التي نشأت فيها لكي يتضح
للقارئ السبيل التي أدت الى
هدايتي وتبلور أمامه المعارك
التي خضتها حتى أوقيت نور
الهدى .

فقد ولدت من أبوين عريقين
في المسيحية عن أجدادهما .

متعصبين لدينهما أشد التعصب حتى أنهما لا يقبلان المناقشة في
 أبسط الأمور التي تمس العقيدة من بعيد أو قريب ، يعيشان في
 القرية في منزلنا الذي بنى والكنيسة على قطعة أرض واحدة
 لا يفصل أحدهما عن الآخر إلا باب ممر صغير ، لذا كان أنوم
 للطقوس عندهما وأقدسها رسم علامة الصليب قبل النوم وعند
 اليقظة . واللسان يذكر علامة الصليب واسم الصليب في كل
 فرحة وترحة . ورسم الصليب على كل شيء يراود له البركة حتى
 الأطفال عند البكاء في مهودهم لتعمهم بركة الثالوث المقدس
 (الآب والابن والروح القدس)

نشأت وقبل أن استطرد في سرد كيفية نشأتي أذكر حديث قبي
 هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم (يولد الانسان على فطرته وابواه يهودانه وينصرانه
 ويمجسانه) »

فعندما بدأ لسانى يخرج من عقاله بدأت أتلقى دروسا في
 الصلاة على يدي والى المتدينة بل المتعصبية لدينها أشد
 التعصب ، وانى لا أخفى على القارئ سرا هو أن الساعة التي
 كتبت أقضيها بين يديها في تعلم الصلوات والدعوات وحفظ بعض
 التراتيل كانت أطول من سنى حياتى الاربعة ، أقوم بعد تلك
 الساعة أنفس عن نفسى بالضجيج واللعب وتحطيم كل ما كان
 يعتبره أهل البيت مثار إقلاق لراحتهم وتعكيرا لصفو هديتهم .

اذن كان لابد من التفكير فيما يملأ فراغ الطفل ويعود عليه بالنفع بجانب تخلص من فى البيت من الضجيج ولكن الطفل لم يبلغ سنا تؤهله لدخول المدرسة الأولية فى ذلك الوقت فكان اقتراحا مقبولا بحكم الظروف اذ لم يكن فى القرية غير مكتب الفقيه المسلم وأرسل الطفل اليه حتى يستريح أهل البيت سويحات الضحي حتى الظهيرة من هرجه ووعد الفقيه بالمكافآت المجزية اذ اجتهد فى تعليمى القراءة والكتابة وظهرت النتيجة فى اقرب وقت .

وفى يوم كنت فيه على موعد أضمره لى الغيب وخباه القدر . عنما خرجت وقت الظهر من مكتب الفقيه مرحا ألعب وألهو فى الطريق يمنا ويسرة حتى وصلت الى المنزل الذى دخلته مهرولا أتأبط كراستى وهنا ظهرت خطوط القدر العريضة فى تحويين مجريات حياتى .

فى ردهة البيت جلس أحد الرهبان الذين يعيشون فى الاميرة يقصد العبادة والترهب ويخرجون أوقاتا متفاوتة ، اعتاد ان يزورنا فى العام مرة أو مرتين حسب خروجه من الدير ليفيء عليه أهل البيت مما أفاء عليهم الله .

استوقفني الراهب ومد يده مسلما فمددت يدي فاحتضنتني والنقط الكراسية وسألني أن أقرأ المكتوب فيها فتمتت ...

ولكى أبرهن علي جدى واجتهادى أنذت أتلو دون طلب بعض سور القرآن من جزء (عم) وفاتحة الكتاب ، وبعض الآيات التي حفظتها سماعيا بحكم وجودى مع من يحفظون القرآن وهنا كانت

الطامة الكبرى والمصيبة العظمى كما صورها الراهب ، حيث ظهر على وجهه الغضب واستبد به الألم حتي صرخ صرخة أخافتني ، وهرع من في البيت جميعا نحو مصدر الصوت ليقفوا على الخبير وأمعن الراهب في تمثيل دور الحزين المتألم لابناء يسوع الحبيبه الذي صلب من أجلهم .

ومن شدة هول المصيبة التي ألت بالعائلة . عقد في المساء اجتماع ضم شمل العائلة والاقربين الجيران من المسيحيين وأنبرى الراهب محتدا في حديثه يعيب عليهم ترك الاولاد بين يرائن المسلمين يستمعون القرآن ويحفظونه ، مما يكون له الاثر السئ على عقيدة الاطفال ، وضعف الدين الذي يشبون عليه . وأمن الجميع على كلامه بعد مناقشة خفيفة انتهت بتدخل الام الصعيدية المتعصبة لدينها الي جانب الراهب . مما جعل الراهب يتقسم وظهت علي وجهه سمات المنتصر .

ان سرور الراهب كان له مغزى كبيرا كشف عنه حين اقترح فتح فصل دراسي يلحق بالكنيسة وأشار من طرف خفي برغبته في ادارته وعلي ما أعتقد أن جل همه كان الهروب من حياة الدير ، ولكن راعى الكنيسة فوت عليه بغيته وأحبط خطته ، حين اقترح تعيين أحد خريجي الاكليريكية العاطلين ، معللا هذا بمساعدة الاكليريكي ماديا ، وضمان النفع للاطفال وذلك لما له من معلومات مدنية ودينية وليذهب الراهب الي ديريه ويعود بخفي حنين . جمعت التبرعات بنشاط تام وكان لوالدتي طول الباع فيها ، فاستحضرت النجار (. . . .) وصنعت المقاعد والسبورة

وفتحت المدرسة • وقام على ادارتها (٠٠٠) الاكليريكي بمساعدة
(٠٠٠) مردد ألحان الكنيسة (العريف) بحيث يقوم الأول
بتدريس الخط والحساب والثانى يعهد اليه بتحفيظ الالحان
والتراتيل والترانيم والاناشيد •

ودارت الأيام وحفظت الألحان والمردات المطلوبة للكنيسة ،
للرد مع الشماسية يوم الأحد وقد حفظت الألحان بنفس الجودة
التي حفظت بها بعض سور القرآن من قبل •

وبعد ستة أشهر مضت على افتتاح المدرسة حضر مطران
البروشية بمناسبة عيد العذراء وقدموا اليه تلاميذ المدرسة لفيل
البركة فامتحنني فى الالحان والمردات ورسمنى شماسا للكنيسة :
وحملت الشارة وهى رسم الصليب علي معصمي الايمن • وكان
اختيارى شماسا نجاحا للاكليريكي والعريف استحقا عليه المكافأة
التي قسمت بينهما قسمة غير متكافئة مما أدى الى الخصام الحاد
بينهما فتنازعا ففشلا وكاد كل منهما للآخر • وأهمل الاطفال •
وتقدم أولياء الامور للتوفيق بين الاثنين ففشلوا وأغلقت المدرسة
أبوابها •

كنت سببا فى فتح المدرسة وكنت سببا فى ارفضاضها :
وظللت بلامدرسةحوالى الشهر ونصف الشهرألحقت بعدها بالمدرسة
الاولية بالقرية وكانت حياة جديدة • ولكنها لم تغير من طبيعة
يوم الاحد الذى كنت أنقطع فيه عن المدرسة للذهاب الى الكنيسة
مصلبا وشماسا يردد الالحان ويقرأ الانجيل بين اعجاب الام
وفرحة الاب اللذين كانا يغمرانى بالهدايا تعبيرا عن رضائهما

وكم كانت هذه الفرحة تنقلب حزنا وأسفا عندما يعود بى الحنين
فى أوقات متفرقة لترديد بعض سور القرآن وآياته التى حفظتها
فى كتاب القرية . حيث كان هذا يخلق صنفين من الشعور
متضادين كان يوجد فى صدرى انشراحا وسرورا لما عليه تلك
الآيات من قوة روحية مؤثرة تنزع منى الفؤاد الى آفاق لم أستطع
تحديدها فى طفولتي البريئة التى لا تزال تتعلق بفطرتها التى
فطرها الله عليها . كما كان يخلق شعورا بالضيق والكآبة عنه
والدتي التى تأثرت بكلام الراهب ، فكانت توجه الى بعض اللوم
فى صيغة أسئلة لم لا تقرأ الألحان التى تردها فى الكنيسة ؟ ولم
؟ وتختتم قولها أنها تخاف على من أن أطرده من النعمة
الالهية . نعمة الرب يسوع المسيح وأذهب الى الجحيم حيث يكون
هناك الظلمة والبكاء وصرير الاسنان .

ولكن . . . حيث كانت تغلب على طلاوة القرآن كنت أنسى
الملكوت والظلمة والوعويل وصرير الاسنان وأدندن بأبيات الله
وسبحان من يعلم الغيب ، وما سبق به علم الله كان . . . ويا أمناه
ليس فى الامكان أبدع مما كان .

الفصل الثاني

حذار ان نقول: محمد رسول الله

كان مخصصا للدين الاسلامى
حصتان فى الاسبوع فى
المدرسة الاولى التى التحقت
بها .

وكان مدرس الحساب المسيحى
«.....» يوعز للمسيحيين من
الطلبة أن يتركوا حصص الدين
ويخرجوا الى فناء المدرسة حتى
تنقضى حصة الدين . وانى لاذكر
مرة امتنعت عن الخروج من
حصة الدين التى كان يشرح
فيها المدرس قصة يوسف عليه
السلام بأسلوب مشوق ، وكم
كان غضب هذا المدرس وتهديده
اياى بابلاغ والدى ان عدت
وظللت فى حصة الدين التى

كنت أشعر بالميل والحرص على حضورها • ولم أجد بها من التوفيق بين رغبتى وبين ما يبغون الا اللجوء والجلوس تحت شباك الفصل المطل على الفناء • مما سبب لى حقدا دفيننا على هذا المدرس لم أستطع اظهاره الا فى حينه • وقد كانت لى معه قصة بعد ، أثرت فى مستقبلى عندما أراد الله لى الهداية •

تشاجرت مع الطالب الذى مزق كراستي أثناء الفسحة • فأدخلنا الفراش الي مكتب الناظر حيث كان يجلس « هذا المدرس » وسمعتة يقول أثر حديث بينه وبين الناظر (لا اله الا الله) فاستنكرت هذا عليه وحفظتها فى نفسى ولم أبدا له • استنكرت على المدرس الذى يأمرنا بالخروج الى الفناء أثناء حصه الدين ويهددني بابلاغ والدى اذا لم أخرج • استنكرت عليه النطق بما يتعارض مع (باسم الآب والابن والروح القدس) واعتبرت ما صدر منه زلة • لا بد من أن أنفس عن نفسى التي تمتليء بالحقد عليه •

اعتاد « المدرس » عند انتهاء الدراسة أن يخرج وخلفه الطلبة المسيحيون وكأنه القائد العائد من معركة وخلفه جنوده ، وان دل هذا المنظر انما يدل دلالة قاطعة على ما كان يعانيه من نقص مركب فى نفسه • ظهرت آثاره فى أكثر من موقف مما لا مجال له على هذه الصفحات •

وفى نهاية درس ذلك اليوم الذى زل فيه لسانه كما كان

يتصور لي وأثناء رواحنا تقدمت اليه وسألته في صورة
المستنكر : -

- صدر على لسان حضرتك كلمة (لا اله الا الله)

- نعم صدرت مني

- لم تنطق بما يتعارض مع (باسم الآب والابن والروح

القدس) ؟

- ضحك ٠٠٠٠ أنت لسه طفل ٠٠٠ كل بعقلهم حلاوة

- عقل من ؟

- عقل المسلمين « بكسر الميم » تهكما واستهتارا

- أتعنى أن أقولها بينهم ؟

- قل ولكن حذار أن تقول (محمد رسول الله)

- من (محمد رسول الله) ؟

سفاك الدماء ورئيس العصاية التي تسمى بالمسلمين للصوص .

كانت هذه المناقشة وانتهت في هذا اليوم على النحو السابق

وفى اليوم الثانى غاب هو وشغل حصه الحساب مدرس الدين

بالمدرسة .

وعند دخوله سألته أسئلة تنم عن سذاجة صاحبها فى نظره

ولكنها فى الواقع كانت ترجمه لعدم تصديق ما قال الغائب

بالامس . ولما ألححت عليه أن يحدثنا عن تعاليم (محمد رسول

الله) شرح لنا بعضا من أخلاق النبى فى صورة قضص وحوادث

آمنت بعدها أن مدرس الامس مفتن على (محمد رسول الله)

وقد تركت هذه الحصة أثرا فى نفسى وخاصة أن القدر قد مهد لها دون ترتيب أو تنظيم من جانب البشر . وكان الغيب قد مهد لهدايتى فكان لسانى ينطق دائما ودون وعى - (لا اله الا الله محمد رسول الله)

وعندما دقت ساعة الخلاص وكتب لى الفهم الصحيح ، نياتى العليم الخبير :

(ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون) (١)

وكما علمنى ربى فيما بعد سخيرا عن أمثال هذا الانسان :
(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون) (٢)

(وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) (٣)

ولن أطيل فى شرح تطورات حياتى الأولى لأنها غير ما أريد أن يتضمن كتابى . انما أريد أن أبلغ هدفا وأصيب مرمى . وليس الهدف بالطور الاول من تلك الحياة المجتمعة فى سنى الدراسة الأولى . وأرجو أن أبلغ وأن أصيب فيما يلى العجالة القادمة .

(١) سورة البقرة : ٨ ، ٩

(٢) سورة البقرة : ١٤

(٣) سورة آل عمران آية ٧٢ ، ٧٣

عندما كنت فى الفرقة الثانية بالمدرسة الابتدائية كون مدرس اللغة العربية الجماعة الدينية وتلك الجماعة كانت ضمن النشاط المدرسى وكان جل تلاميذها من الطلبة المسلمين . وكان اجتماعها فى بعض الايام عقب صلاة الظهر . وكانت هناك مصادمات بين بعض أعضائها من الطلبة ، وبين زملائهم من المسيحيين . نتيجة لجدل غير ذى جدوى . مما أوقد الغيرة فى قلوب الطلبة المسيحيين . اذ كان بينهم من يدعى (. . .) ابن أحد القساوسة . استبدت الغيرة بهذا الطالب واستبد به التعصب لدينه فاقترح تأليف جماعة الدين المسيحى تتكون من الطلبة الثلاثين المسيحيين . ولأمر ما ، كان حكمة من ناظر المدرسة ووافق على تأليف تلك الجماعة مشروطا ألا يكون (. . .) فى القيادة ، فلم يكن بد من انتخابى رائدا لتلك الجماعة .

من يوم أن تألفت تلك الجماعة بدأ الجدل الساذج الخطير على مستقبل الطلبة علي أشده وذلك لجهل المسلمين بدينهم . اللهم الا النذر القليل الذى كانوا يتلقونه فى المدرسة ك بعض الشعائر التعبدية ، وقصص بعض الانبياء ونبذ غير وافية من السيرة النبوية . مما لا يساعد علي نصرتهم .

وكان لوقوف القس « والد الطالب » (. . .) معنا من خلف الستار وتزويده لنا ببعض فنون المجادلة كنت اتغلب على فريق الجماعة الاسلامية بالثرثرة والمحاورة والمداورة وكثيرا ما قامت الاشتباكات التى كانت تظهر فريقنا بالجبن وفريقهم بالضعف . حيث كان جهلهم بدينهم له أثر كبير فى تمسكى بديني . وتصديق

القائلين أن الاسلام خرافة وهراء وشعوذة . مما جعلنى اتغالي
فى المعاندة لكى أظهر بمظهر القائد الرائد الجدير بالقيادة .
وكانت ذخيرتي تأتيني يوميا . حيث كان (٠٠٠) يحمل معه كل
يوم من العقد أو ما يسمى بالعقد التي لا يمكن لطالب مسلم جهل
تعاليم دينه أن يرد عليها .

ولم تكن تلك آفة الطلبة وحدهم فى ذلك الوقت . انما كانت
آفة أصابت غالبية المسلمين . فقد تحالف المستعمر واذنابه على
ابعاد المسلم عن دينه . والدفع به بعيدا عن تعاليم الدين حتى
يظل مهزوز الايمان مزعزع العقيدة وحتى يكون من الضعف ما يمكن
للمستعمر من أن يبلغ مأربه وهو آمن من أن المسلم المجرد من
روحه ان تكلم فلا يكاد يبين وكذلك يأمن اذناب المستعمر وعملاؤه
بانهم سيمضون فى طريق الاستغلال وسيطرة النفوذ . فيرتكبون
الفواحش ما ظهر منها وما بطن دون أن يقف في وجوههم معارض
أو ناقد . ويخلو الجو للمبشرين واصحاب المبادئ الهدامة .
ينصبون شباكهم ليقعوا فيها كل يوم مئات من مجدى العقول
ومرضى النفوس . الذين أصبحوا أشباحا بلا أرواح . وشعب بلا
روح كرىشة فى مهب الرياح لا تملك لنفسها ثباتا أو استقرارا ،
ولم يكن بد من تدخل بعض المدرسين وحلت الجماعتان وكان نصرا
لنا معشر المسيحيين . لان جماعتنا كانت منحلة بطبيعتها لان
المسيحيين الثلاثين كانوا يتبعوننى (و ٠٠٠) تعصبا للمدين
لا تفهما لحقائقه .

الفصل الثالث نهاية وبداية

خط القدر فى طيات صحائفه
لى تاريخا ٠٠ حيث كانت قيادتى
للجماعة المسيحية التى لم يكن
تكوينها الحقيقى الامنى ومن
ميخائيل ، بداية تمهيد لارادة
الهيئة فى تحويل مجرى حياتى ٠٠٠
راعى الكنيسة ببلدتنا كان رجلا
طاعنا فى السن اتته المنية ووافاه
الاجل المحتوم لتولد مشكلة خطيرة
وهى اختيار قسيس يملأ الفراغ
الذى تركه بشرط أن يكون من نفس
البلدة . وقامت الخلافات على
اشدها انتهت باقتراح أحد الحاضرين
فى الاجتماع بانتداب قسيس من
البيتريركية ليحل مكانه . على أن

يرسل أحد الشباب الى أحد الاديرة لمدة ستة أشهر يعود بعدها
قسيسا ليحتل المكان الشاغر .

وافختر فعلا ابن عامل التليفون . وكان يعمل كاتباً للحسابات
بأحد المحال التجارية . وأرسل الى احدى الكنائس مدة ثم
أرسل الى أحد الاديرة تمهيدا لأن يتولى المنصب .

وفي ليلة من ليالي الصيف جلست الاسرة في احدى شرفات
المنزل تسمر . وتطرق الحديث عن القسيس المنتظر . حديث يشوبه
الحسد حيث كانت ألفاظ الحديث كلها تنصب على القسيس المنتظر
الذى شملته نعمة الرب وكان لا يستحقها لانه ليس من عائلة
مرموقة . وكان بين الجلوس بعض أقاربي الذى جبل على عدم
حب الخير . وتمنى زوال نعمة الغير .

انبرى ذلك القريب يقول : يا حسرتاه بعد أيام سنقبل يد
ابن عامل التليفون وتكون له السلطة الروحية علينا جميعا . بعد
أن كان والداه يسعدان بالتقرب الينا .

ثم وجه الحديث لأبى . . . ليتك أبا فؤاد أرسلت فؤادا بدلا من
ذلك الشاب . ولكن كان جواب أبى وأمي وعمى . انا نريد أن
يكون فؤاد طبيبا أو مهندسا . ولكن القريب أدلى بالدليل تلو
البرهان على أفضلية وسمو مركز القسيس الذى ينحنى أمامه
الطبيب والمهندس اجلالا ولثما علي يديه فى خضوع واحترام
نابعين من قداسة رسالته التى يحملها ومنصبه الذى يعتبر وكيل
الله علي الارض ما يحله فى الارض يحله الله فى السماء . وما
يربطه على الارض يربطه الله فى السماء وأنه تلميذ يسوع

المسيح الابن والروح القدس • وحارس مذبح الاله ضابط
الكل خالق السموات والارض • والامين علي أسرار الملكوت •
أخذ الحديث مني كل مأخذ واستهوتني الالفاظ • واستقوى
علي لبي بريق المنصب • فتدخلت في الحديث وأبدت رأيي مؤيداً
رأى القريب وكنت لا أزال تحت سيطرة حب الرياسة • بعد قيادتي
للجماعة الدينية بالمدرسة وكان قد مضى عليها سنتان •

ومن تلك الليلة تعقدت نفسي من جميع فروع التعليم المدنى
وتولد في حب الدراسة اللاهوتية وما كانت تلك الميول وليدة الليلة
فحسب ، ولكنها مخالفات عبارات النصر الزائف نتيجة مبارزة
الذين يملكون أسلحة الاقناع ولا يحملونها • كما أن الرغبة في
دراسة اللاهوت كان من عواملها ما كنت أشعر به من هيبة لرجال
الكهنوت • وما كنت أراه على المسرح تمثيلاً أو عن صدق من هيبة
الكبار وذوى المراكز الاجتماعية لهؤلاء الكهنة •

ألححت على والدى ووسطت والدتي وذلك القريب حتى قبل
والدى بعد لاي على دراسة اللاهوت • ودفنت رأسي بين العقائد
والمذاهب أنهل استعداداً للتخرج والانضمام الى صفوف الكهنة
والرعاة ولكنها كانت نهاية وبداية •

نهاية دراسة وبداية دراسة ، نهاية تلقين وبداية تفكير ، نهاية
حياة كنت فيها مدفوعاً برغبة مبنية علي التقليد والتعليم • وبداية
حياة يلح العقل فيها أن أتعلم في العلوم بعين الحقيقة لا عين
الخيال • نهاية الغاء الخيال وبداية تشغيل العقل • نهاية الرين
على القلب ، وبداية جعل القلب بوتقة للامان غير المشوب بشوائب
الايحاء ، نهاية ضلال وبداية هدى والحمد لله • والي السيد
القارئ الصفحات التالية :

الفصل الرابع صراع بين العقل والعقيدة

أثناء دراستي للدين المسيحي
وتعمقى فى جنباته صادفتنى مشاكل
عقلية متعددة كنت فى البداية أطرحها
جانبا الى حين ثم أعاود الرجوع
اليها فيكون نصيبها التأجيل، كالمرة
الاولى . وكل يوم تزداد المشاكل عن
ذى قبل حتى كونت عندى ما يشبه
العقد وولدت عندى اليأس من فهم
تلك المشاكل المعقدة .

بعد الدرس كنت أخلو أحيانا الى
نفسى محاولة منى لايجاد الحلول
للمسائل المعقدة . وكانت ترجد
حلولا . ولكنها حلول لا ترضى العقل
ولا يستريح لها الضمير الا مؤقتا
طمعا فى أنى يوما ما ربما تكون
قد اتسعت مداركى واستطعت حلها .

ولكن بعد سعى الدراسة الثلاث فى اللاهوت لم أجد البياض
الناصع الذى يعتبر أساسا للدين ، ولم أعثر على الوضوح
والبساطة الذى يجب أن تنجلي بهما العقيدة انما كنت أجد بقعا
عديدة من الاصباغ ظننتها باءى ذى بدء زينة الدين .

ولكنى كلما تعمقت واستعملت العقل وذهبت بالفكر أى مذهب
بين الكتب والمتون والشروح أغود الى النقطة التى بدأت منها دون
الخروج بأى جواب شاف على أسئلة العقل المتلاحقة بغير هوادة
وشككت فى عقلى واتهمت ملكة فهمي بالضعف وأيقنت أن ذلك
قصور منى وربما وجدت المخرج عند أساتذتى الكهنة والقساوسة
والوعاظ الاكليريكيين .

كان كل منهم يريد أن يظهر مقدرته ومدى مساهمته فى هذا
الدين فحملوا الدين ما لا يطيق من الاضافات والتفسيرات .
ووصل الحال فى بعضها الي أن أصبحت هذه الاضافات والتعليقات
هى الاصل والدين ذاته فى المرتبة الثانية من حيث الاهمية .

ويبدو أن ادعاء الدين أو محترفيه لم تعجبهم بساطته وأرادوا
له أن يكون معقدا لانه كلما كان معقدا اتجه الناس لهم يسألونهم
تفسيرا لكل ما يحويه من الغارز على أن تظل شوكتهم قوية ويبقى
سلطانهم واستخارهم فمن جهة المتدينين فرضوا لهم طقوسا ورسوموا
طرقا وأبتدعوا الختلالات وضمموا ملابس والفوا ترانيم وصلوات
وتفننوا فى خزعبلات واستغلوا مخجريات الامور لانفسهم فجعلوا
مصائر الناس فى أيديهم ليظلوا اللهيمين عليهم والمرشدين لهم .

أما من جهة خالقهم أرادوا أن يزيدوا في درجة احترامه سبحانه وتعالى فابتدعوا له مؤنسا فى وحدته زوجة ثم ابنا . ثم قالوا عن الابن أنه هو الاله ثم اختاروا فقسما بين الاب والابن السلطات ورسموا لهما الاقانيم . مما سبق لم أجد جواب الاساتذة الا كجواب الكتب أو أشد تعقيدا ، وعسير على العقل المتحرر أن يقبل أجوبة على علتها كما قال بعضهم قولته المشهورة .
أد الطقوس التى تعلمتها كما تعلمتها ولا تتعب عقلك . فقد تعب قبلك كثيرون وباعوا بالخسران المبين وطردهوا من ملكوت السموات من هنا بدأ شكى وفقدت الثقة واستولى على عدم الايمان فيما أدرس لا فيما أدين ، لان دين المسيحية دين سماوى أتى به المسيح وبشر به من سبقه من الانبياء واعترف به من بعده .
ولذا بدأت أبحث وأنقب مصمما علي أن لا ألغى عقلى لانه عسير على العقل الواعي أن يأخذ الامور علي علاتها كما أنه من العسير على انسان وهب شيئا من حرية الفكر أن يصم أذنيه عن النداء المنبعث من وحى العقل والضمير . واثقا أنى لن أطرده من ملكوت الله . بل هدفي أن أدخل الملكوت . ومن سار علي الدرب وصل ، ومن جد وجد ، لأنه من العيب ألا يبحث أى انسان أمر دنيه حتي يؤمن ايمانا صحيحا أو يترك ما لم يستطع عقله وعقول أساتذته الى ما يفهمه العامة قبل الخاصة حتى يستريح الضمير . ويكون ذلك دين القيمة . والى القارئ أقدم بحثى الذى انتهى بي الي الايمان بدين القيمة .

الفصل الخامس

المسيحية وأطوار انحدارها

المسيحية جاء بها السيد المسيح
تدعو الى الزهد فى الدنيا والتطلع
الى الآخرة وتفضيل ملكوت السموات
على ملك الارض . وكانت هذه هي
الرسالة للمسيحية الى بني اسرائيل
الذين أخذوا الى الارض ودعوا الى
ايثار الملك الارضى على ملكوت
السموات . وعبدوا المادة من دون الله
عز وجل وتفننوا فى الخروج على
الشريعة التى جاء بها موسى عليه
السلام ، فأحلوا الحرام وحرموا
الحلال .

اذن كان لابد من رسالة تدعو
الروح الى اليقظة من سباتها ودين
يخاطب اللطيفة الربانية حتى يستيقظ

الضمير . ودعوة تناجى الوجدان فتنسلل الى النفوس التي مرضت لمحو ماران عليها من ضلال وما ألم بها من زيف وما علاها من صداً وغشاوة .

ولذا تجد أن تعاليم المسيحية خلت من الدعرة الى المادة الا فى حالات نادرة أوحث بها الضرورة فقد كان كل توجيهها الى المعنويات كالتأمل والتدبير باعتبارهما المخرج من رذائل الانسان الى الفضائل التي تسمو به الى عالم الملك والملكوت . حتى يصل الى الكمال الابدى بالاتجاه الى الله عز وجل حيث ترتاح الروح باشراقه النور الربانى الذى يعتبر هو الاصل لها فيحوطها بالاستقرار وينقشع عنها الخوف من المستقبل ويعلو عندها الرجاء فتشعر بالسعادة والطمأنينة بركونها الى الجانب الالهى ويكون ايمانها بأن المستقبل وما حدث فى الماضى كله بأمر الله وما سبق به العلم كان . وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن هنا تكون الراحة اللانهائية .

وظل السيد المسيح عليه السلام يدعو بهذه المبادئ حتى انتقل الى ربه وظهرت علي سطح الدعوة بعض النزعات التي كانت مختلفة تحت المطامع الشخصية وذلك راجع الى أن بعض الذين آمنوا بالمسيح من الحواريين كانوا يبغون من وراء هذا الايمان كسبا دنيويا وذلك ظاهر فى قصة يهوذا الاسخريوطى الذى خدعه المال والحياة ، وتحت تأثير الاغراء تطوع أن يسلم السيد المسيح لليهود لكي يصلبوه . وبطرس الذى تقول عنه الاناجيل أنه أنكر المسيح ثلاث مرات . وبولس الذى خالف القاعدة

القائلة أن السيد المسيح جاء لبني إسرائيل فقط فدعا سائر الناس
الى الايمان به بنفس الحقوق والمميزات التى أعطيت لليهود .

وفى غمرة تغلب حب الظهور الشخصى ظهرت فى الافق آراء
ومعتقدات وتأويلات وتفسيرات لا حصر لها ، بل بدأ انحدار
الكنيسة وخروجها على رسالة السيد المسيح نفسه وظهرت
الاحزاب والشيع والطوائف ولكل من هؤلاء رأى ، ولكن الآراء
كلها تبلورت فى اختلاف هذه الطوائف على شخصية المسيح على
أساس : هل المسيح طبيعة واحدة بمشيئتين ؟ أو طبيعة واحدة
بمشيئة واحدة ؟ أو طبيعتان ومشيئتان ؟ وذلك فى علاقة المسيح
بالاله . ومن أبرز ما يمكن ألا نغفله هنا أن جميع الطوائف
اتفقت على كون المسيح آت لاجل خلاص العالم من خطيئة آدم
ولكنهم اختلفوا فى كيفية الخلاص . ولكن السرائى السائد أن
السيد المسيح فدى العالم بنفسه ليخلصه من الخطيئة ، كما
اتفقوا على التثليث وهو شعار المسيحية باسم الآب والابن والروح
القدس . علما أن الخلاف احتمم فى مسألة اللاهوت والناسوت
اختلافا أدى الى تطور النزاع تطورا كانت له خطورته على الامم
المسيحية بأكملها .

وتتلخص أسباب الخلاف فيما يأتى : -

أن أريوس ينكر لاهوت المسيح ويقول أنه مخلوق ليس مولودا
من الآب ، ولذلك لا يساويه فى الجوهر .

ويقول نسطور أن للابن أقتنومين . النور المنبثق : واحد الهى

والآخر بشرى فهو بالاول ابن الله وبالثانى ابن مريم وى ابن
الانسان .

ويقول اليعقوبيون أن المسيح أقنوم واحد وطبيعة واحدة
وكلاهما الهى .

ومن هنا انقسمت الكنيسة المسيحية في الشرق والغرب الى
ثلاث طوائف كبرى :

١ - الارثوذكسية .

٢ - الكاثوليكية .

٣ - البروتوستانتية .

فالارثوذكس يأخذون بالرأى اليعقوبي ويرفضون فكرة انبثاق
روح القدس من الابن كما انبثق من الآب .

والكاثوليك ميالون الى رأى نسطور أى بالقول بالطبيعتين
والمشيئتين ويضيفون الى ذلك أن المسيح قد صار انسانا كاملا فى
أحشاء أمه البتول .

والبروتستانت جاءوا بالاصلاح الاخير على يد (مارتن لوثر)
الذى يرى من مذهبه أنه ميال للرأى الاريوسى الذى يقول : أن
الجوهرين لا يتساويان .

وان اختلفت هذه الطوائف فى شخصية المسيح الا أنهم اتحدوا
فى التثليث وذلك ما سنفرده له بابا خاصا به .

٢ - المعمودية وستعرض لها عند الحديث عن الصلب .

٣ - الاناجيل وذلك ما سنسرد عجلة قصيرة عنها .

٤ - التناول وسنتحدث عنه عند الحديث عن الصلب .

وكتب الديانة المسيحية الاساسية هي :

١ - الاناجيل الاربعة : متي - مرقص - لوقا - يوحنا :

٢ - اعمال الرسل :

٣ - الرسائل :

٤ - رؤيا يوحنا اللاهوتي ،

الاناجيل : ولا تخرج مادة الاناجيل الاربعة عن أن تكون تاريخا لحياة المسيح ، وترتيب الاناجيل الاربعة حسب تاريخ كتابتها هكذا : مرقص - متي - لوقا - وأخيرا يوحنا ومجموعها مع غيرها من الرسائل يسمى العهد الجديد .

انجيل مرقص : كتب بعد سبعين سنة من انتقال المسيح وجمعت أصوله من الرواة الذين اتصلوا بالمسيح أو عن الذين اتصلوا بهؤلاء الرواة والمعاصرين . ولم يكن مرقص قد ولد في زمن المسيح . ولا يعدو ماورد في انجيل مرقص تجولات المسيح وتاريخ آخر أيامه .

وانجيل متي : كتب في أواخر القرن الاول ويحوى أقوال المسيح منسقة كما يحوى شجرة النسب للمسيح علاوة على أنه يحوى ما حواه انجيل مرقص وبعض ما يحويه العهد القديم (التوراة) .

انجيل لوقا وقد كتب في أوائل القرن الثاني جدد في مادته

وأتى ببعض أشياء لم تأت بها الانجيل السابقة • وقد اعتمد كاتبه على بعض ما ورد فى انجيل مرقس •

انجيل يوحنا : كتب جزء منه فى أوائل القرن الثانى ولكنه لم يتم الا فى فترات متأخرة ومادته مستحدثة •

أعمال الرسل : هى شذرات تحتوى على مجهود الرسل •

الرسائل : وهى عبارة عن منشورات وعظات أدلى بها تلاميذ المسيح فى مختلف الأمم ومختلف الازمان داعين للمسيحية ، وتعد هذه الرسائل أساس علم اللاهوت •

رؤيا يوحنا اللاهوتى ، أو « **يوحنا المعمدان** » : وهى عبارة عن عظات وتنبؤات •

ومن الامانة أننا نثبت هنا أنه لم يوجد انجيل من الاناجيل المتداولة منسوباً الى المسيح نفسه أو منزلاً على المسيح • انما كما يرى القارىء أن كل انجيل من هذه الاناجيل المتداولة منسوب الى كاتبه وأن هؤلاء الكتاب كلهم لم يكونوا قد اخرجوا الى الحياة فى زمن السيد المسيح •

وأن المدقق يرى أن هذه الكتب كتبت على السنة الرواة كتاريخ للحوادث أو تسجيل للكلمات التى حدثت فى زمن السيد المسيح • وقد خلت تلك الكتب - تماما - من أى شئ يشير أن لها مصادر أو مراجع معتمدة وحتى فى عصرنا هذا نجد اختلافات كبيرا بين طبعات ما يسمى بالكتاب المقدس كطبعة بيروت نجدها تختلف عن طبعة لندن والثانية تزيد أو تنقص عن طبعة أمريكا

(نيويورك) اذن ، لايمكن لأى عاقل أن يأخذ ما ورد فى تلك الكتب على أنه من عند الله . لان ما كان من عند الله لا نجد فيه اختلافا ، وإذا رجعنا الى أسباب الاختلاف نجدها متعددة بحيث نحتاج الى كتاب منفرد ربما هيات لى الظروف بارادة الله اخراجه .

ولكن يمكن اجمالها هنا فى أن اللغات التي كتب بها الانجيل كاللغة الفرتية والكتوكية والعبرية القديمة وغيرها من اللغات العديدة التي تعد بالعشرين لغة هي سبب من الاسباب التي أضاعت معالم الانجيل الحقيقى .

وهناك سبب آخر هو أن المسيحية بدأت كفرقة مضطهدة من الملوك والأباطرة الذين جمعوا الانجيل المنزل وحرقوه . ولا يفوتنا هنا أيضا أن نذكر أن التوراة وهى ألواح موسى ضاعت مع التابوت الذي أخذه الفلسطينيون من اليهود فى حروبهم . وعند ما عاد التابوت الى اليهود على يد طالوت (شاول) كان خاليا منها .

وخلاصة القول أن الذى بين أيدينا لا يمكن أن نعتمده . وكل دراسة مبنية عليه تعتبر دراسة ناقصة تماما ، الا أننا بصدد دراسة قضايا وردت فى الاناجيل نفسها كان لا بد أن نأخذ فى الاعتبار أن هذه الاناجيل أوردت بعض ما يمكن الاعتماد عليه . لأن ذلك البعض يشير الى صحة دعوانا فى بطلان العقائد التي درسناها يوم أن كنا نتلقى دراسات فى اللاهوت والناسوت وأن

هذه الاناجيل مع تحريفها وتغييرها واختلاف طبعتها كانت عاملا
من العوامل المهمة التي أنارت الطريق أمامنا عند مناقشة القضايا
التي احتواها الكتاب . فقد ألفت ضوءا على بطلان القول بالزومية
المسيح وبنوته لله وقصة التثليث . كما أقامت الحجة القوية على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ما سنورده فى هذا
الكتاب .

الفصل السادس

التثليث ونشأته وتحليله

لورجعنا الى ما قبل المسيح بألاف
السنين وتتبعنا الاديان القديمة
كديانات البراهمة فى الهند وديانات
القدماء المصريين • والسديانة
الكنفشيوسية فى الصين لوجدنا
أن تلك الاديان بدأت بتوحيد الله عز
وجل ثم انحدرت الى تثليث الاله •
حتى أن بعض تلك الاديان تغالت الى
أن أوصلت الاله الواحد الى تسعة
آلهة •

ولأننا لسنا بصدد مناقشة هذه
الاديان فاننا لا نتعرض لها الا بالقدر
الذى يفي بالغرض المنشود •
وبالتحديد سنتعرض للشالوث

الهندي والثالوث والتاسوع فى الديانة المصرية القديمة والثالوث
الكنفشيوسى فى الصين .

فبالرجوع الى الديانات الهندية نجد أن الديانة البراهمية
وأهم كتبها المقدسة وهى (الفيدا) التى تتألف أسفارها من
(الريجافيدا ، والسامافيدا ، والباجورافيدا ، والآثارافيدا) نجد
أن الهنود آمنوا بالاله الواحد (براهما) ومعناه فى اللغة
(السنسكرىتية) الهندية (الله) وهو الاله المتصرف لا شريك له .
صدرت الاشياء جميعا عن وجوده وسرى منه الروح فى جميع
الكائنات .

ويؤيد ذلك ما ورد فى أسفار الفيدا ما معناه (اننى أنا الله
نور الشمس ، ضوء القمر ، بريق اللهب وميض البرق ، صوت
الريح أنا العرف الطيب : ينبعث فى الأرجاء والاصل الازلى
لجميع الكائنات وأنا حياة كل موجود ، واننى صلاح الصالح .
لانى الاول والآخر والحياة والموت لكل كائن) ثم كانت هناك
الخرافة القائلة أن « براهما حل فى كبار الكهنة وأولهم
« البراهمتما » ثم من بعده انتقل الى تلاميذه « البراهمتما » واحدا
تلقوا الآخر . بحيث من ينتقل روح براهما اليه يصبح من المتنبئين
الذين يصدقون فى كل قول صادر عنهم . مما حدا ببعضهم الى
التعالى فى الاختراع حتى أن بعضهم خرج عنهم فكرة التعدد
حتى أصبح التعدد عقيدة شعارها التثليث .

فان بعض الكهنة أعطى (براهما) صفات مستقلة وأسماء
متعددة وتطور التعدد الى أسماء ثلاثة كل اسم منها مستقل .
وكل اسم أطلق على اله ، له صفاته وذاته وعمله ، ومن هنا نشأ

الثالوث الهندي (براهما - سيفا - فشنو) مكونا من ثلاث أقانيم كل أقنوم له وظيفته وملكوته :

ف (براهما) الذات الطاهرة التى لا حد لها ولا شكل . الذى توجه اليه الصلاة وهو الذى يقبل الدعاء حيث لا توجه الصلاة الا اليه .

(و) - (سيفا) الذى أشير اليه فى كتب تفسير (الفيذا) باسم (وورترا) أى القوة المستورة أو الاله الموكل بالرياح الثائرة الهوجاء .

(و) - (فيشنو أو فيشا) وهو المكلف بالحياة وسريانها فى جميع الكائنات وهو المحى والمميت . ويعتبر كهنة الديانة البراهمية أول من أنشأوا التثليث وابتدعوه . ولكن من حق التاريخ علينا أن نثبت أن (جوتاما) الشاب المتبتل الذى سمي فيما بعد (بودا) حارب هذا التثليث كما حارب التعدد وشن عليه حربا شعواء على نظام الطبقات فى الهند الذى يعتبر أكبر سند للتثليث والتعدد .

وكذلك الديانة المصرية عندما بدأت بالتوحيد والايمان باله واحد فردى أزلى . خالق قبل كل شيء ويبقى بعد كل شيء لا بداية له ولا نهاية وظل هذا الاله احساسا داخليا وروحا معنويا فى الضمير البشرى بلا اسم يعرف به حتى اتجهوا الى تسميته (آتوم) ثم قالوا أن الآتوم هذا اسمان أحدهما ظاهر والآخر لخبى . وقالوا ان الاسم الظاهر تكونت به السموات والارض . والباطن قام به الوجود وهو أصل كل شيء .

فاذا اتجه آتوم الى العطاء (رع) واذا ظهر بارزا فى ظهور الشمس سمي آمون . ومن هنا ظهر الثالوث المصرى (آتون - آمون - رع) ثم تفرع عن الثالوث آلهة أخرى حتى أصبح

التاسوع (آتون - آمون - رع - تيت - نوت - شو - ازيس - سيت) ثم جاءت فى التاريخ أضرار آلهة فرعية أخرى أمثال (هاتور - نوباشيت - نوت - معت - بتاح - تبقون) .
 وإذا رجعنا الى كتب الديانات الصينية القديمة نجد أن الصينيين عبدوا أول ما عبدوا لها واحدا هو مولى السماء الرب العظيم مالك الاكوان . ذو العقل المتناهى الذى تجده أينما توجهت . وجود بلطفه ورعايته على الصالحين ويستعمل الرحمة مع عباده واسمه عندهم (تى ين) أى الاله المعلوم من صفاته المجهول ذاته الغير منظور . ثم حل هذا الاله فى أرواح الآباء والحكماء والملوك والقادة . فتطور الاله الى آلهة ثلاثة كل له قدرته ووظيفته ونشأ الثالث الصينى بأقانيمه (تى ين - تشانج - تشانج تى ين)

(ف) - (تى ين الاله المجهول المنظور ، الغير المنظور ، (وتشانج) ، (هو الروح التى حلت فى أرواح الآباء والاجداد والملوك قصيرتهم مقدسين ، وببركتهم كانت كل الاشياء التى خلقت لهم وسرت تلك الروح الى جميع المخلوقات ، من انس وجن وحيوان وطيور وهوام .

(و) (وتشانج تى ين هو اله الشمس وسياراتها والقمر ونوره والارض ودورانها والسماء ومطرها الخ .
 وظلت الأديان بعد ذلك تتأخبط على يد كهنتها ، حتى جاءت الديانة اليهودية ، فجاء اسم الاله الواحد (آهيا أو الوهيم أو يهوه) فى التوراة . ولكن كما قلنا من قبل أن بنى اسرائيل خرجوا عن جادة الدين وعبدوا المادة ثم جاءت المسيحية لتصلح

(٣ ، ٢ ، ١) ارجع الى كتاب « الاديان فى كفة الميزان » للمؤلف .

ما أفسده بنو اسرائيل وتدعو الى الله عز وجل ولكن بعد انتقال
المسيح الى ربه تجدد الثالوث والتعدد وان كان بصور اختلفت
عن صور الثالوث الهندى ، والمصرى ، والصينى ، وذلك
ما نعرضه على السيد القارىء .

فقد جاء أنه عند قيام الطوائف المسيحية بتنسيق المعتقدات
وانشاء نظم دينية أنهم قرروا فى مجامعهم المعقود آخرها سنة
٤٦١ م تمسك الجميع بالتثليث كشعار ثابت لجميع الطوائف
والاجماع بأن المسيح إله مثلث الاقانيم « الآب والابن والروح
القدس إله واحد » .

ولو أردنا مناقشة موضوع التثليث المسيحى وتحليل الثالوث
لوجدنا أنفسنا أمام مسائل منطقية ثلاث عبارة عن معادلات فلسفية
ثلاث ، كما نجد أنفسنا مضطرين للتمسك بها لأننا نريد أن نكون
فى حيدة تامة . . الحيدة التى تفرض علينا عدم الاستشهاد بأى
كتاب سماوى حتى لا يشتم أننا انحزنا الى أى من الأديان الثلاثة
دون اللجوء الى المنطق أولا ، وهو جزء من الفطرة السليمة التى
فطر الله عليها البشر .

والمعادلات الثلاث هى :

المعادلة الأولى :

ما دام الثلاثة أقانيم فى الحقيقة واحد ، فان ما يصيب الاب
من آلام ومسرات فلا بد أن يصيب الابن والروح القدس ، لانهما
يكملان الثالوث الموحد .

المعادلة الثانية :

ان مايؤذى الابن أو يضره ، يضر الاب والروح القدس ما دام
الابن ثانى ثلاثة هم فى الحقيقة واحد .

المعادلة الثالثة :

كذلك الروح القدس كجزء فى كل ، اذا اشتكى تداعى له
الاقنومان بالحمى والسهر .

وأمام هذه المعادلات لا يمكن التسليم بالتفسير الوارد فى
العقائد الكنسية فى أن « الاب والابن والروح القدس هم الإله
السماوى رب السموات والاراضين ضابط الكل قد تجسد وتأنس
فى بطن مريم البتول » .

لاننا لو سلمنا بهذا التفسير لوقعنا مع العقل فى صراع عنيف
ولن ننتصر على العقل أبدا ، لانه لايمكن لإله بدون الكمال المطلق
أن يكون إليها .

فاذا ما تجسد الإله بأقانيمه الثلاثة فى بطن مريم العذراء
يكون قد تجرد من كماله المطلق ، لانه ما دام قد سمح لنفسه أن
يسلك مسلك البشر : تحمل به أمه وتلده ، اذن لابد أن تجرى عليه
سنة الحياة والموت والانتفاضة والانكماش ، مما يؤثر على أقانيمه
الثلاثة .

والله جل جلاله منزه عن الوالدية والمولودية ، التركيب
والتجسيم والاحتياج ، وسابقية العدم ولاحقية الفناء ، وسائر
صفات الحوادث ، وكل مالا يليق بذاته العلية .

اذن فعقيدة التثليث عقيدة وثنية ، فالبراهمية وقدماء الصين
وقدماء المصريين والفرس واليونانيون قالوا من قبل أن الإله مثلث
الاقانيم ، وقد اقتبست الكنيسة بعد دخول نصرانية قسطنطين فيهم
هذه الشعائر ونسخت بهم شريعة المسيح .

والمقام هنا يضيق أن نبسط جميع أوجه الخلاف وأسانيده

المختلفة ولكننا نستطيع أن نلخص رأى العقلاء وهم قلة فى تفسير
الاقانيم .

وهو « أن الاقانيم جوهر واحد ، وأن الكلمة والاب جزء واحد
وأنتك حين تقول الاب لا تدل على ذات منفصلة عن الابن أو عن
الروح القدس لانه لا انفصال ولا تركيب فى الذات الالهية ولكنها
تتجلى فى معرض الانعام وبالبنوة فى معرض التلقى والقبول » .
وختام القول أنه من العبث الاخذ بمنطق التثليث الغالب على
رجال الكنيسة ، بأن المسيح هو الله المثلث الاقانيم ، أو الاقانيم
الثلاثة هى الله المسيح ، أو المسيح هو الاب والابن والروح
القدس .

وايفاء للموضوع حقه وجب علينا مناقشة الاقانيم الثلاثة
أقنوما بعد الآخر حتى يتضح لنا الامر من القضايا الثلاث وهى :
١ - تأليه المسيح ٢٠ - بنوة المسيح لله ٣٠ - الروح القدس .

الفصل السابع

” قضية ألوهية المسيح “

تعرضنا في الأبواب السابقة للكتب والرسائل التي تعتبر الركائز الأساسية التي تعتمد عليها القيادات المسيحية بفروعها وعقائدها المختلفة في بث العقيدة وتوجيه الدعوة ، كما تعرضنا الى قيمة تلك الكتب من الناحيتين الروحية والتاريخية ، وذلك بعد بيان ما احتواه كل كتاب وما تضمنته كل رسالة بالقدر الذي يقتضيه حال الایجاد . كما أوجزنا في الاشارة الى ما حدث للانجيل المنزل على السيد المسيح عليه السلام حيث جمع وأحرقت أصوله على يد بعض الملوك والاباطرة الذين حاربوا المسيحية في العصر الروماني .

وقد أشرنا الى اختلاف الطوائف فى شخصية المسيح ومدى اتصالها بالاله وأوضحنا أن تلك الطوائف مع اختلافها ، اتحدت فى عقيدة صلب المسيح ومجيئه الى العالم لفداء البشر بنفسه وتخليصهم من الخطيئة الموروثة عن آدم وذلك ما سنتعرض له فى الابواب التالية .

ولذا وجب على الكاتب أن يتعرض لكل عقيدة من تلك العقائد على أنها من بواعث الشك فيما يدين به حتى يمكنه أن يقول أن هذا الكتاب يكشف فعلا عن سر ايمانه بما أصبح يدين به .

وربما سأل سائل لماذا سمينا العقائد التى سنتعرض لها فى هذا الكتاب قضايا ؟ أجبناه أنها فى الحقيقة قضايا تحتاج الى الاثبات أو النفى وأننا تعمدنا مسايرة الحقيقة حينما سميناها قضايا تحتاج الى المناقشة التى تعتمد على النقل الموضوع على مشرحة البحث والتفصيل تحت مبضع العقل الذى يلجأ الى الادلة المنطقية التى توافق العام والخاص حتى يخرج النفى أو الاثبات حقيقة وافقت المنقول الصحيح والمعقول والمجمع عليه .

وقد كان من أظهر الاسباب التى أدت الى وجود العقيدة القائلة بالوهية المسيح وغيرها معجزة ميلاد المسيح فقد أذهلت اليهود الذين آمنوا به ، فبدل أن تكون هذه المعجزة توجبها حسيا الى قدرة الله عز وجل ، ودليلا على عظمة الخالق وقدرته ، كانت وبالا عليهم بأن زين لهم الهوى ايجاد تفسيرات وتأويلات فى بحرهما نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فألت عقائدهم الى ما آلت اليه .

فمن أدلة الاصباغ الجديدة التى طمست معالم الرضوح للرسالة التى جاء بها المسيح عليه السلام أنهم توجهوا فى

صلواتهم الى السيدة العذراء مريم بقولهم : نعظّمك يا أمّ النور
الحقيقي ، ونمجّدك أيّها القديسة والدة الاله مخلص الكل مولود
غير مخلوق ضابط الكل (١)

ان مجرد النظرة العابرة الى ألفاظ الشطر الاخير من الفقرة
المتقدمة تأخذنا الى مجالات واسعة من التساؤل . . . والدة
الاله ؟ مولود غير مخلوق ؟ ضابط الكل .

فاذا أردنا أجوبة للتساؤل فلا نجد الا الاجوبة التي استقينها
من مجموعة المجلدات التي بين أيدينا والتي يمكن أن نلخصها في
أن المسيح اله لانه اشراقة من النور الالهي ، أو قبس من الاله له
ما للاله من قدرات وامكانيات لانه مولود غير مخلوق ، مولود في
الصورة ولكنه قديم بقدم الله . ولهذا يقال أنه مولود غير مخلوق،
وبذلك كان ضابطا لكل بلاهوته لا بناسوته .

ان هذه الاجوبة وغيرها لا يمكن أن تكون شافية ، لان معجزة
خلق عيسى المسيح لا تحتاج الى هذه التفسيرات والتأويلات لأنها
بجانب المعجزات الالهية التي سبقتها تعتبر بسيطة غير معقدة
بالنسبة لمعجزة خلق آدم مثلا .

فآدم خلق من غير أب ولا أم من قبضة من تراب سرى فيها
السر الالهي الساري في جميع المخلوقات وبقدرة الاله الذي قال

(١) هذه الصلاة واردة في كتاب : « الأجيبة للصلوات
والدعوات » و « الخولاجي الغرغاري » عند الأرثوذكس ويؤمن
بها الكاثوليك ويرددونها في ألحانهم .

« كن ، فكان آدم تنفيذًا للكلمة من طبيعتين اللطيفة الربانية
والطبيعة الارضية .

فاذا عبرنا عن القدرة الالهية وهى اللطيفة الربانية بالاشراقه
الالهية فانما نقول أن آدم قبس من النور الالهى أى أن آدم خلق
بلاهوت وناسوت ولكننا لا نقول أن آدم ضابط للكل وأنه قديم
بقدم الله عز وجل .

وهذا قول يرتاح اليه العقل لانه لا يمكن أن نتصور ولادة الاله
كما لا يمكن تصوير المولود فى صورة غير صورة المخلوق لان كل
مخلوق لابد أن يكون وليد شىء ، وكل شىء مخلوق خلقه الله بقدرته
تلك هى الادلة المنطقية التى تنفى الوهية المسيح وأن تأليهه
افتراء عليه ، ولكى نوفى الموضوع حقه وندعم المنطق بالنقل كان
من حق القارئ علينا أن نوضح أن الاناجيل التى سنتخذ بعض
ما ورد فيها دليلا على تبرئة المسيح مما نسب اليه قد حرفت
تحريفا فى بعض الاحيان بلا قصد ثم أصبحت عن قصد لان الذين
انحدروا بالمسيحية استغلوا غير المقصود لكى يصلوا به الى
المقصود ، وذلك أن الذى ساعد على انحدار المسيحية كثرة اللغات
التي كتبت بها الاناجيل وبشر بها تلاميذ المسيح مثل اللغات
« الفرثية » والمادية ، والعيلامية ، والآرامية والسامرية ،
والكبدوكية ، والعبرانية ، والقبطية ، والعربية ، ولغات أخرى وقد
نقلت بعض هذه الكلمات بنفس نطقها فى بعض اللغات مما ساعد
المستغلين على تغيير بعض الشكل أو النطق للتدليل على صدق
دعواهم التى يدعون الناس اليها .

ومن هذه الكلمات كلمتان كان لهما تأثيرهما القوي فى اظهار
الوهية المسيح وبنوته لله . وهاتان الكلمتان هما « أب » ، « ربى »
فقد استغلت الكلمة الاولى وهى عبرية معناها (الله) فلما نقلت
بنطقها الى العربية أصبح معناها (أب) .

والثانية قد استغل نطقها الآرامى (ربى) بكسر الراء ومعناها
(معلم) فأصبحت معناها (ربى) بفتح الراء أى « الالهى » .

وكما اختاروا الكلمتين وجعلوهما بمعنى الربوبية اختاروا
عدة مصطلحات وأقانيم ورموز أخفوا تحتها الحقائق .

ولكننا لا نعدم دليلا من الانجيل يوضح لنا معنى الكلمات باللغة
العربية ، فقد ورد فى انجيل يوحنا الاصحاح الاول الآيتان ٣٧، ٣٨
ما نصه :

« فسمعه التلميذان يتكلم فتبعوا يسوع ، فالتفت يسوع ونظرهما
يتبعان فقال ماذا تطلبان ؟ فقالا ربى الذى تفسيره يا معلم أين
تمكث .

ومن هنا نكتبين أن بعض الكلمات كانت عاملا من العوامل
المهمة التى توضح استغلال بعض أصحاب الهوى لها حتى يصلوا
الى ما تهدف اليه نفوسهم المريضة .

ومن صميم دعوة السيد المسيح نجد أنه أمر تلاميذه وأتباعه
أن يتجهوا الى السماء ورب السماء والارض الذى لا يعزب عنه
مثقال ذرة فيهما والدعاء اليه وحده والصلاة اليه وذلك فى انجيل
متى الاصحاح السادس الآيات من ٩ الى ١٣ يقول المسيح لتلاميذه

هكذا تصلوا « أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، لتكن
مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ٠٠٠٠ »

اذن ما الذى يدعوننا أن نجعل المسيح الها فى الوقت الذى
يشير الى وحدانية الله وهو بين تلاميذه يصلى بهم ومعهم الى
« الأب أى الله المسيطرة سيطرة تامة له ما فى السموات وما فى
الأرض ٠ كما يأمرهم أن يتجهوا فى باقى الآيات الى الرزاق
الغفور ذى القوة المتين وهو يقصد بكلمة « أبانا » « الالهنا » ، لان
كلمة « أب معناها الله » ٠

ولم نجد فى تعاليم المسيح أو فى الوسائل التى اتخذها
لدعوته أكثر من الوسائل التى اتخذها الانبياء من قبله أو من
بعده ، فقد كان المسيح شريد الاوطان كما كان الانبياء من قبله
يهاجرون من بلادهم ويطردون من ديارهم ٠

ولذلك تجده يصف نفسه بأنه نبي وأنه فى سبيل دعوته لآبد
من ايذائه وتشريده بحيث لا يجد مكانا يسند فيه رأسه ، بل تعدى
ذلك أن قالها فى صراحة أنه « ابن انسان » وذلك واضح فى
انجيل متى الاصحاح الثامن من الآية ٢٠ « للثعالب أو جره
ولطيور السماء أوكار ٠ وأما ابن الانسان فليس له أين يسند
رأسه » ٠

والمسيح لا يستنكف أن يكون عبدا لله ، ويشرفه هنا أنه مرسل
من عند الله كباقى الرسل الذين أرسلهم الله الى البشرية هداية
للناس وأنه جاء ليخرج قومه من الضلال بعد أن حادوا عن رسالة

موسى عليه السلام كما جاء فى انجيل متى الأصحاح الثامن عشر
الآية الحادية عشرة « لأن ابن الانسان قد جاء لكى يخلص ما قد
هلك » •

حقا ما أضعف الفرد منا لكى يضع هو وحده النظرية
النهائية ، أو يفترض التفسير الحاسم لحل مشكلة أزمنت أو
ظاهرة تعقدت ، ولكن على الفرد أن يبحث عن الحقائق من
الكلام الذى قاله من قامت حوله المعركة حتى ان قومه اعتبروه
شخصية خيالية ، ولم يعرفوا انه شخص حقيقى على درجة
عظيمة من الانسانية حيث يعترف أن له ربا أرسله لتبليغ دعوته
الى عباده ليعرفوا ربهم الحق وذلك ما جاء فى انجيل يوحنا
الإصحاح السابع الآية ٢٨ « فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل
قائلا تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت ، بل الذى
أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه » وكما ورد فى نفس
الانجيل الإصحاح السابع عشر الآية الثالثة « وهذه هى الحياة
الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى ويسوع المسيح الذى
أرسلته » •

فلم يأت المسيح غامضا فى دعوته ، بل جاء بها كفلق الصبح
جاء بدعوته نبيا مرسلا حيث يقول لتلاميذه فى الإصحاح العاشر
الآيتين ٤١ ، ٤٢ من انجيل متى « من يقبلكم يقبلنى . ومن يقبلنى
يقبل الذى أرسلنى ، ومن يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ ، ومن
يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ » •

وهنا يستطيع القارىء ، أن يتبين ماهية السيد المسيح
وكونه مرسلا من قبل الذى أرسله وهو بالطبع الله الذى يرسل

رسله للناس رحمة وبشرى لقوم استجابوا لدعوة الله على يد رسله وعلى لسان الذين يتعلمون على أيدي هؤلاء الرسل ، والجدير بالملاحظة أن المسيح لم يشر من بعيد أو قريب الى أنه الله أو ابن الله مما يدحض كل حجة تقول بألوهيته .

بل تعدى السيد المسيح كل شك بأن نزل الى مستوى أن يقبل الأراجيف التي تقال فى حقه والتهكم عليه ، وأعلن أن ايداءه يغفره الله لعباده ماداموا لم يشركوا بربهم أحدا أى أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك ، وهذا المعنى الواضح يتبين من الاصحاح الثانى عشر ، من انجيل متى الآية ٢٢ حيث تقول على لسانه عليه السلام :

« ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له ، وأما من قال كلمة على الروح القدس فلن يغفر له . »

ولم يكتف المسيح بالنهى عن الشرك بالله عز وجل بل دعا الى توحيد ربه فى صراحة ووضوح ، ونزاهة عن الصاحبة والولد عندما ناداه أحد أتباعه بالمعلم الصالح وكان رده عليه السلام على ذلك التابع بعبارة كلها اعتراف بالوحدانية وردت فى انجيل متى من الاصحاح التاسع عشر الآيتين ١٦ ، ١٧ « لماذا تدعونى صالحا فليس أحد صالحا الا واحد وهو الله »

وانا لئأخذ قصة على سبيل المثال وردت فى انجيل مرقس تضمنتها الآيات من ٢٨ الى ٣٤ من الاصحاح الثانى عشر لنجعلها خير شاهد على دعوة المسيح الى توحيد الله واعترافه هو بالوحدانية . وها هى القصة دون اضافات أو تعليقات لأنها لا تحتاج الى تعليق :

« ف جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه
 « اشارة الى المسيح » أجابهم حسنا سألته آية وصية هى أول الكل؟
 فأجابهم أن أول الوصايا هى : اسمع يا اسرائيلى الرب الهنا رب
 واحد وتحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن
 كل قدرتك هذه هى الوصية الاولى ٠٠ فقال الكاتب : جيدا يامعلم
 بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواء ومحبه من كل القلب
 ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ٠٠ فلما رآه يسوع
 أنه أجاب بعقل قال له : « لست بعيدا عن ملكوت الله » .

وان لآية قصيرة وردت فى انجيل يوحنا الاصحاح الاول الآيه
 الثامنة عشر تقول على لسان المسيح عليه السلام « الله لم يره أحد
 قط » هذه الآيه لغنية عن كل بيان عن عقيدة السيد المسيح فى ربه
 وانى لن أجد تفسيراً غير تفسير واحد أنها تشير الى أن الله تبارك
 وتعالى يرى ولا يرى يعلم ما بين أيدي عباده وما تخفى صدورهم
 وسرهم ونجواهم وعلانيتهم وهم لا يحيطون به علما ، وأن الآيه
 تعترف اعترافا واضحا جليا أن الله جل جلاله قد احتجب عن
 العقول كما احتجب عن الحواس وتعالته ذاته العلية عن الاحاطة
 والادراك ، وتنزهته صفاته القدسية عن المشابهة والمماثلة وأن أقصى
 ما تدركه العقول والابصار من شئون ذاته العلية ، انما هو أسماؤه
 الحسنى وصفاته العليا ومظاهرها وآثارها التى تجلت فى بدائع
 الكائنات وعجائب المخلوقات ، وطيب النبات وأنوار ساطعات مما
 يملأ بقدرته ويشهد بعظمته الارض والسموات .

واقبل أن ننقل من تبرئة المسيح مما نسب اليه نختتم مواقف
 المسيح بموقف مشرف يشهد فيه المسيح أنه عبد الله ورسوله الى

قومه ، وأن كل معجزة ظهرت على يديه انما كانت من الله تأييداً
لنبيه ، فاحياء الميت وبراء الاكمه والابرص وشفاء المرضى مرجعها
جميعا الى الله عز وجل والله الفاعل المحي الشافى كما يقول السيد
المسيح فى انجيل يوحنا الاصحاح الثالث الآيه ٢١ « أما من يفعل
الحق فيقبل الى النور لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة » •

ولننتقل من قول المسيح الى قول بعض تلاميذه التى تشهد بأن
المسيح عليه السلام انسان مرسل من ربه ويشر تسرى عليه نواميس
الحياة ، افترش الارض والتحف السماء ، بل كان جسده كأجساد
البشر جميعا يكل فيرتاح فتأخذه سنة من النوم ، ويظماً فيرتوى
بالماء ، ويجوع فيأكل ويمشى فى الاسواق ، ويعرى فيطلب الكساء ،
ويشعر بالبرد فيطلب الدفء أينما كان ولكنه يمتاز بأنه رسول بلغ
رسالة ربه الى الناس وذلك لقوله عليه السلام فى انجيل يوحنا
الاصحاح السابق الآيه السادسة « المولود من الجسد جسد هو » •
وهاهو بطرس أحد تلاميذه يقف وسط جموع محتشدة ليسمعوا
عظاته ليقول ان المسيح رجل أرسله الله ، وذلك ما ورد فى سفر
أعمال الرسل الاصحاح الثانى الآيه ٣٣ :

« أيها الرجال الاسرائيليون • اسمعوا هذه الاقوال : يسوع
الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات
صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون •• »

وما هى مرثا أخت لعازر الذى أحياه الله على يد المسيح يقص
عنها يوحنا فى انجيله الاصحاح الحادى عشر الآيه ٢٢ عندما نهبت

الى المسيح مخاطبة اياه « لكنى الآن أيضا أعلم أن كل ماتطلب من
الله يعطيك الله اياه » .

وهذه العبارة ان دلت انما تدل على أن الاوائل من اتباع
السيد المسيح كانوا يؤمنون أن المسيح يستمد القوة من الله لصنع
المعجزات المؤيدة لنبوته ، قبل أن تمتد يد التبديل والتحريف والتغيير
الى شريعة المسيح عليه السلام .

ونختم القضية بموقف للمسيح نفسه عندما ذهب ليكون واسطة
الاحياء لعاذر ، فقد صور يوحنا هذا المشهد الرائع الذى وقف فيه
السيد المسيح متجها الى السماء وهى قبلة الدعاء ليناجى ربه
مناجاة العبد الطامع فى كرم تأييده له متضرعا اليه الا يخذله فى
هذا الموقف وهنا تتجلى العناية ويقوم لعاذر من بين الاموات .

وهنا يعيد المسيح الكرة فيتجه الى ربه شاكرًا له نصره اياه
والعبارة التى وردت فى الانجيل المذكور الآية ٤٢ ، ٤٣ من
الاصحاح الحادى عشر غنية عن كل بيان حين يقول السيد المسيح
« ايها الرب اشكرك لأنك سمعت لى . ولكن لاجل هذا الجمع الواقف
قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني » .

والآن آن لنا أن نسأل أله هو المسيح ؟ واذا كان المسيح ليس
باله فمن الله الذى كان يستمد منه العون ؟

من كل ما تقدم يتجلى الموقف عن حقيقة واحدة هى أن المسيح
لم يكن الها ولم يدع فى يوم من الايام أنه اله ، بل دعا الى عبادة
اله عظيم أرسله نبيا كما دعا الى توحيد الله ، فسبحان الله عما
يصفون وسلام على عيسى المسيح ضمن عباد الله المرسلين .

وأعتقد أنى هنا قد استطعت أن أستنبط الحجة من وجهين أولهما المنطق وهو أسلوب الجميع فى عصرنا الحديث ، وثانيهما نقلا من بقايا التوحيد فى الاناجيل المتداولة ، وكان لزاما على أن أعالج الموضوع معالجة من يريد الوصول الى الحقيقة ابتغاء الوصول الى الايمان الذى لا تشوبه أى شائبة من شوائب الشرك ، وقد يرى القراء أنى ناقشت القضية مناقشة سهلة الاسلوب لكى نصل جميعا الى بر السلام الذى ينشده الجميع .

اذن فالمسيح ليس الها . فهل المسيح ابن الله ؟

•• هذه قضية جديدة تحتاج مناقشة فالى قضية البنوة ••

الفصل الثامن قضية البنوة

أشرنا في الباب السابق الى
الكلمات التي نقلت حسب نطقها
فاستغلت استغلالا شنيعا للتأثير على
عقول البسطاء والسذج من البشر
وكان من أهم هذه الكلمات كلمة
(أب) التي نقلت من اللغة العبرية
القديمة ومعناها الله الى اللغة
العربية فاستعملت بمعنى الوالد أى
« أب » .

ومن هنا قالوا ان الله أب المسيح
والمسيح ابن الله . ولو تبصرنا قليلا
لوجدنا أن الانجيل أو الاناجيل
بالمعنى الأعم ذكرت فى أكثر من
موضع على لسان المسيح نفسه كلمة
« أبوك السماوى » ، وأنه أطلق على

الملائكة وعلى المؤمنين الصالحين ، أن الله أبا لهم فى مواضع كثيرة فى أسفار العهدين القديم والجديد ، وقد أطلق أيضا اسم الابن على بعض الأنبياء .

فقد جاء فى الاصحاح الثالث من انجيل لوقا الآية الثامنة والعشرين فى نسب آدم أنه ابن الله وهو ابن أنو شرين بن شيث بن آدم بن الله « وعلى يعقوب ابن الله كما فى الاصحاح الرابع من سفر الخروج الآية « وهكذا يقول الرب : اسرائيل ابنى البكر » وعلى داوود كما جاء فى المزمور ٨٩ الآية ٢٧ « أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الارض .

وقد جاء فى انجيل يوحنا الاصحاح الرابع عشر الآيات الثلاثة الأولى منه على لسان المسيح الى تلاميذه « لا تضطرب قلوبكم . انتم تؤمنون بالله فأمنوا بى فى بيت أبى منازل كثيرة . والا فانى كنت قد قلت لكم . أنا أمضى لأعد لكم مكانا . وان مضيت وأعدت لكم مكانا أتى أيضا وأخذكم الى حتى حيث أكون أنا تكونون انتم أيضا » .

ان هذه الآيات تحدد لنا أربع نقاط هامة يرتكز عليها البعث : الأولى منها وترتكز على القول الأول « لا تضطرب قلوبكم . انتم تؤمنون بالله » إشارة الى أن الايمان بالله عز وجل يكسب القلوب اطمئنانا والصور انشراحا وللعبد أمانا واستقرارا ولذا نجد السيد المسيح عليه السلام يقول لهم ما دمتم آمنتم بالله فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وهنا يقصد أن الايمان بالله يوجب الايمان برسله وهو أحد رسل الله عز وجل .

والنقطة الثانية توضح أنه من شروط الايمان بالله الايمان برسوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ، وما الايمان بالله الا ايماننا برسالته وتصديقا برسوله وذلك من شروط الثقة بالله وعدم اضطراب القلوب .

والنقطة الثالثة وهى قوله عليه السلام « فى بيت أبى منازل كثيرة » بصرف النظر عن كلمة « أبى » التى وجدناها فى الاناجيل المخطوطة مكتوبة باللغة العيلامية « عند ربي منازل كثيرة » تشير الى أن منازل الانبياء والابرار تختلف كل منزلة عن الاخرى وذلك تصديقا لقول المسيح الذى أشرنا اليه فى الباب السابق « من يقبل نبيا باسم نبي فله أجر نبي ومن يقبل بارا باسم بار فله أجر بار »

أما النقطة الرابعة وهى التى تبدأ بأداة الاستثناء « والا فكنت قد قلت لكم أنا أمضى لأعد لكم مكانا وان مضيت وأعددت لكم مكانا أتى أيضا وأخذكم الى حيث أكون أنا » فانها تشير الى أن المسيح يقول لتلاميذه انى لن أستطيع أن أعد لكم مكانا حيث لا يعلم هو مكانه وأن ايمان المرء هو الذى يعد له المكان اللائق به وكل بما قدم مجزى فان قدم خيرا كانت منزلته خيرا وان قدم شرا كانت منزلته كذلك .

ولكن مع وضوح المعانى التى تشير اليها هذه الآيات الثلاثة نجد التفاسير التى بين أيدينا تقول غير ذلك وتختلف من المعانى التى لا تمت من بعيد أو قريب لتلك الآيات ، فنجد مثلا فى تفسير زكريا المحرقى أن هذه الآيات تشير الى أن جميع من آمنوا بالمسيح

سيرفعون الى السماء ويجلسون عن يمين الآب مع المسيح حيث يكون هو على يمين الآب .

يمكن مناقشة هذا التفسير منطقيا ونرى النتيجة التي يمكن الوصول اليها مع عدم اغفال ما يجب أن تكون عليه المناقشة حيث يجب أن تكون من وجهين أولهما حيث جلوس المسيح الابن الوحيد لله كما جاء في الاناجيل في أكثر من موضع « هذا ابني الحبيب الذى به سررت » وثانيهما من حيث أن الجميع سيجلسون عن يمين الآب .

فاذا قلنا مع القائلين بأن المسيح هو ابن الله الحبيب نجد العرف جرى على أن طبيعة النسل ترجع الى أصله ومادام المسيح ابن الله قد أكل فهل رأوا الله يأكل ؟ والمسيح نام فهل رأوا الله ينام سبحانه وتعالى عما يصفون .

والمسيح مولود ، والمولود لا بد أن يكون مولودا لمولود فمن ولد اياه ؟ وان قالوا مخلوق ، فمن خلقه ؟

اذن هناك خالق أول بلا بداية وآخر بلا نهاية أزلى صمدى منزه عن الوالدية والمولودية أزلى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . ولو سرنا معهم الى آخر الشوط فنقول ان المعروف دائما أن الأولاد متى اتسعت مداركهم تظهر لهم ميول تختلف عن ميول آبائهم مما يؤدى الى الخلاف فى الرأى والتصرف بحيث ما يفعله الآب بعقليته القديمة يخالف ما يراه الابن بعقليته الحديثة وذلك سبب تطور الحضارات .

فلو كان المسيح ابنا لله حقا كما زعموا لكانت النتيجة أن الآب

يبنى والابن يهدم والوالد يعطى والابن يمنع وأولهما يزيد وثانيهما ينقص وذلك بحكم تناقض الآراء .

ولو على أحسن الفروض كان الابن مطيعا فان القدرة تتفاوت والعقلية تختلف ، ومن اختلاف العقلية وتفاوت القدرة يحدث اختلال التنظيم والتدبير وتفسد السموات والارض وما بينهما .

ومن هذا السرد المنطقي نقول أنه لا يجوز للخالق أن يجعل له شريك ولو كان مع الله لها آخر فى السموات والارض لفسدتا .

ونختم مناقشة هذا الوجه بالنتيجة الحتمية وهى أن الله جل جلاله واحد فى الألوهية والربوبية لم يلد ولم يولد أى لم يلد أحدا ، لأن الوالدية تستلزم التركيب والمجانسة لان الولد جزء من أبيه ومجانس له فى ذاته وصفاته والله تعالى منزه عن التركيب والمجانسة المماثلة ، ولم يلد له أحد ، لان المولودية تستلزم التركيب والمجانسة والحدوث وسبق العدم والله تعالى منزه عن ذلك كله فهو واجب الوجود الذى لا أول لوجوده ولا آخر لبقائه أى السابق على جميع الموجودات بلا بداية والباقي بعد فنائها بلا نهاية .

وإذا قلنا أن جميع من آمنوا بالمسيح من يوم رسالته الى يوم بعثه سيجلسون معه على يمين الآب على كراسى بجوار كرسى العرش يكون معنى هذا أن هناك آب وأبناء ارتكازا الى كلمة « أبكم السماوى » أى أن الأقنوم الثانى بدل أن يصير الابن يكون الأبناء وينطق التثليث « باسم الآب والأبناء والروح القدس » ومعنى هذا أن المسيح وملايين البشر الذين آمنوا برسالته أبناء لله .

ومن هنا نقول ان الله عز و علا ما كان له ان يتخذ شركاء من خلقه وهذا ما لا يجوز مع الله تبارك وتعالى ، ونقول ان أبوة الله الحقيقية لبعض البشر أو غيرهم من الخلق لاتعقل وأبوة التبني تزوير يجعل الله عنه كما يتنزه عن مجانسة الخلق بالأبوة الحقيقية ، والأظهر فى هذه الأبوة فى كل موضع ان صح النقل أنها مجاز عن الرحمة والرفافة والتكريم .

وهذا ما يرتاح العقل الى قبوله ، الأمر الذى لا يحتاج الى صراع إذ لا يمكن قبول القول بأن الله اتخذ ولدا أو أولادا لقد قالوا شيئا أدا ، وبهذا يكون الأقنوم الثانى قد لحق بالأقنوم الاول وبالقضيتين ظهر الأقنومان على أنهما اختلاق وافتراء .

الفصل التاسع الروح القدس

الروح القدس • أمر من الأمور
التي تحتاج الى بحوث طويلة ولكن
موضوع الكتاب يجعلنى التزم
بالكتب التي درستها ويؤمن بها أهل
الكتاب ، حتى لا أكون قد خالفت
ما التزمت به فى المقدمة وهو أن
تكون الحجة من الانجيل والتوراة
وملحقاتها والمزامير، وحتى أستطيع
توضيح ما اختلط على رجال الكهنوت
والكنيسة • كما أننى وجدت أنه من
الخير أن أبدأ موضوعى بذكر بعض
الأقوال التي تعتبر من الطقوس
الشهيرة عند بعض القساوسة ورعاة
الكنيسة •

تجد الكهنة عندما يريد أحدهم أن
يبارك أى انسان فى رعيته يقول له
اثناء منح البركة « يحل عليك بروح
قدسه » ويقول آخر لمن يرى من أمره

رشدًا « اذهب فأنت بروحى التى أخذتها من الروح القدس مغفورة
لك خطاياك » أو يقول ثالث « اذهب فأنت مشمول بنعمة الروح
القدس » .

وفى العهد القديم (التوراة) فى أكثر من موضع تجد العبارة
التقليدية « حل عليه الرب بروح قدسه » .

ويقول داوود فى أغلب مزاميره : أنه بالروح القدس محيت كل
آثامه وخطاياها . ويطلب من الله فى المزمور الخمسين قائلا : -
« وروحك القدس لا تنزعه منى . امنحنى بهجة خلاصك »
وبروح رئاسى اعضدنى » .

ويقول لوقا فى انجيله فى تبشير مريم عندما حملت بالمسيح
« وحل عليها الروح القدس . وبشرها الملاك » .

اذن يتبين . مما سبق أن الروح هو مشيئة الله واراادته . وهو
قبس من الأمر به يكون المراد الالهى وفق ما سبق به العلم ، والروح
الالهى يصح القول عليه الأمر الالهى .

فالانسان الذى تدب فيه الحياة انما تدب بالمشيئة والارادة
الخالقة . ارادة الله الذى أراد فأرسل الى مريم روحه فتمثل بشرا
سويا فيه الروح التى تعتبر سر تجلى الله على خلقه ويمكن
تسميتها فى هذه الحالة روحا قدسا .

وكل شئ فى هذه الحياة فمرجعه الأمر الالهى به كان وبغيره
لم يكن والنور والقدرة والسلطة والارادة والمشيئة كل ذلك روح
قدس .

والروح -وان كان علمها عند ربى- الا أننا تعلمنا أن للروح
عدة سبل تكون عليها ، فاما أن تكون الروح بالكلمة «كن» أو تكون
كتابا منزلا من عند الله على أحد أنبيائه ، أو رسالة نبي الى قومه
أو وحيا من وراء حجاب ، أو وحيا ظاهرا .

فخلق آدم من تراب وتكوينه وتحويله الى صورته التى وجد
عليها والنفخ فيه من روح الله روح قدسى .

والأمر الى نوح عليه السلام بصنع السفينة والوحى اليه
روح قدس ، ونجائه وقومه من الغرق وابتلاع الارض لمائها والأمر
للسماء باقلاعها انما هو روح قدس .

والوحى الى ابراهيم ونجاته من النار ، والأمر الى النار بأن
تكون بردا وسلاما على ابراهيم هى روح قدس .

وحفظ يونس فى بطن الحوت ونجاته من الغم وكذلك ينجى الله
عباده المؤمنين .

ونصرة داوود على جالوت واقامته نبيا ورسولا وملكا انما ذلك
كان بأمر الله وروحا قدسا .

والكتب المنزلة كصحف ابراهيم وموسى والتوراة والانجيل
روح من أمر الله ونور من عند الله يهدى الله به من اتبع رضوانه
سبل السلام .

وكذلك يؤيد الله أنبياءه والصالحين من عباده بالروح القدس
اذن الروح القدس قيس من أمر الله وفق مشيئته ، به يكون كل
شئ وتبارك الله رب العالمين الذى جعل الروح من أمره وهى سر
من أسرار علمه .

الفصل العاشر

قضية الصلب وتاريخ الصلب

فى الحقيقة أن قضية صلب
المسيح عليه السلام يستند القائلون
بها الى سند هو أن الله من صفاته
المحبة ومن فرط محبته رأى أن
يخلص العالم المتباعد عن الله من
عهد سقوط آدم فى اللخطيئة بسبب
وراثة هذه الخطيئة فأرسل ابنه
الحبيب الوحيد ليخلص العالم ويصلب
فداء للبشر .

وان كان هذا السند يعتبر سنداً
منهاراً من أساسه لعدم ثبوت بنوة
المسيح لله وانهاىار قضية البنوة كما
رأينا فى الفصل السابق الا أننا هنا
سنعالج هذه القضية من وجه الفداء
من ناحية ، كما سندعم الفصلين
السابقين أى ستكون دليلاً جديداً على

• انتفاء الالهوية أو بنوة المسيح لله من وجه آخر .

ولنسلم معهم جدلا بأن صلب المسيح كان تخليصا وتطهيرا لهم من خطيئة آدم ، فهل ترى أن التطهير كان لمن كان قبل المسيح حتى مجيئه ؟ أم كان للذين عاصروا المسيح ؟ أم لمن عاصروه ومن آمنوا به بعد صلبه ؟

إذا كان التطهير لمن سبق السيد المسيح فقد سبقه أنبياء اختارهم الله لرسالاته ، منهم ابراهيم الذى ينتسب اليه المسيح وموسى الذى جاء بالناموس الذى جاء المسيح ليكمله لقوله فى انجيل متى : « لا تظنوا أنى قد جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء • ما جئت لأنقض بل لأكمل » ومن هنا نقول أن التطهير للسابقين يصممهم بالخطيئة ، والمسيح من سلالتهم فيكون هو أيضا موصوما بنفس الخطيئة الموروثة ولو عن طريق أمه ، وكيف يطهر مخطيء خطايا المخطئين ؟

وإذا كان الصلب لتكفير خطايا المعاصرين للمسيح وحدهم فلنعتبر أن كل من سبق المسيح سيظلون مخطئين الى قيام الساعة وأن الأنبياء والرسل الذين بعثوا وأرسلوا الى أقوامهم مذنبون ، وتكون النتيجة الحتمية أن خلق الله من آدم حتى ما قبل المسيح مطرودون من الجنة أو الملكوت لأن الأنجيل أجمعت على أن « من يدخل الملكوت يكون بلا خطيئة » .

فأسفاه على نوح و ابراهيم واسحق واسماعيل وداوود وموسى وسليمان كل أولئك مطرودون من رحمة الله لانهم لم يكونوا مع متى ومرقس ولوقا ويوحنا تلاميذ لابن رب العالمين .
أما اذا كان الصلب فداء للمعاصرين واللاحقين فنقول لهؤلاء

اللاحقين وانهم قد برئوا من ذنوبهم وتطهروا بدم ابن الله الحبيب من الخطيئة الموروثة كفوا عن الذهاب الى الكنيسة والاعتراف على يد الكاهن لان من اغتسل بدم ابن الله فلن تلصق به خطيئة بعد ذلك لان دم المسيح المسفوك على خشبة الصليب قد ضمن لهم المكوت والقرديوس .

ولعل القارئ يكون قد فطن الى ما أهدف ، اذ أن قصة الفداء تعتبر قصة كتلك القصص الخرافية التي نقرأها كل يوم لأن المفروض في الله الذي يقولون عنه « الله محبة » في استطاعته أن يغفر للناس جميعا ذنوبهم بكلمة منه لأنه هو الذي قال لأدم عندما خلقه « كن » فكان آدم وليست المغفرة بأصعب من خلق آدم من العدم .

ولو ضربنا مثلا من أمثلة محبة الله لخلقه فلنضرب مثل ابراهيم الذي أمره أن يذبح ابنه وكيف نظر الله الى ابراهيم عندما تله للجبين فاذا بالله يخرج له فداء أجمعت الكتب السماوية على أنه « كبش عظيم » .

أما كان بالأحرى أن يفدى الله عباده من بدء الخليقة الى نهاية الدنيا بكباش بعدد نلقه حتى لا يصلب ابنه . وبذلك تكون محبته عمت العالم بما فيه ابنه الحبيب والا لقلنا أن الله أحب العالم ونزع محبته من ابنه وهذا ما لا يصدقه عقل بشر . ومن هنا يمكن أن ندخل في الموضوع من حيث هو وارد في الأناجيل والدخول في المناقشة الموضوعية حتى تتبين لنا الحقيقة التي نبحث عنها .

ان المصادر التاريخية وخاصة الأناجيل تجمع أنه جاء جمع يتقدمهم يهوذا الاسخريوطى ، أحد الاثنى عشر ، ودنا من المسيح ليقبله فقال المسيح يا يهوذا أبقبله تسلم ابن البشر . وتسير قصة القبض على المسيح وقيادته الى « قيافا » رئيس الكهنة الذى قام معهم ومضوا الى بيلاطس قائلين له انه يفسد أمتنا ويمنع من أداء الجزية لقيصر لأن بيلاطس لم ير له ذنبا وكان المسيح من زمام هيرودس أرسله اليه . . . ولكن هيرودس رده الى بيلاطس الذى ظهرت عدم رغبته فى صلبه ، ولكن القوم صرخوا قائلين أصلبه فاضطر أمام رغبة الجميع أن يسلمه وأطلق لهم الله « بارا آباس » وبينما هم منطلقون الى المكان المسمى « بالجمجمة » المحدد لصلبه قابلهم فى الطريق رجل من القيروان يسمى سمعان كان آتيا من الحقل وحملوه الصليب .

فلنسلم جدلا بالقصة التى تقول أنه قبض على المسيح حيا وذهب فعلا لمقابلة رؤساء الكهنة وبيلاطس وهيرودس ونضع هذه القصة على منضدة التشريح فتظهر لنا فى القصة نقط هامة جدا لا يمكن اغفالها لأنها أدلة قاطعة على عدم صلب المسيح وبراهين على أن الذين ظنوا أنهم صلبوا المسيح كانوا واهمين .

فمن القصة نستطيع أن نتبين بوضوح أن بيلاطس البنطى كان غير راغب فى تسليم المسيح حتى انه قال لهم لم أجد عليه عنة تدينه ولكنه أرغم على تسليمه لهم عند ماهاجروا وماجوا ، ولانستبعد أن يكون بيلاطس قام بعمل وهو الذى يملك من الجنود والحاشية الخ . وأنه لشدة حقه على اليهود وخوفا على مركزه لم يستطع

عمل أى شىء فى تلك اللحظة ولكنه أضمر فى نفسه شيئا فماذا كان هذا الشىء ؟

نستطيع ان نقول ان بيلاطس فهم أن الذى سلم المسيح لليهود هو يهوذا فوجه نظره اليه وأراد أن يقتص منه لحياته وأن يهوذا الاسخريوطى بزيه ولحيته شديدة الشبه بالمسيح كانت من الدواعى المشجعة على أن أمر بيلاطس جنوده بعملية تبديل بين المسيح الذى لم يجد عليه علة وبين الخائن يهوذا .

ولكن الذين حرفوا وبدلوا قالوا ان يهوذا خفق نفسه كما روى انجيل متى فى اصحاحه السابع والعشرين فى الآيات من الثالثة الى السادسة « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ ٠٠٠ فطرح الفضة وانصرف فى الهيكل ثم مضى وخفق نفسه » .

ولدينا دليل آخر ورد فى انجيل متى الاصحاح السابق الآية التاسعة عشر أن امرأة بيلاطس رأت رؤيا بسبب المسيح فأفزعتها فأرسلت الى زوجها تحذره من أن يمسه بسوء (واذا كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت اليه امرأته قائلة اياك وذلك البار لأنى تأملت كثيرا فى حلم من أجله) وبهذا نقول ان رسالة زوجة بيلاطس اليه زادت من تصميمه على تخليص المسيح . وخصوصا أن من عادة الرومان تلبية رغبات زوجاتهم وخاصة أن طلب زوجة بيلاطس صادف هوى فى نفسه ربما كان مصمما على تنفيذه سرا خوفا على مركزه لأنه كان أحد ولاية قيصر واليهود يدعون أن المسيح ادعى أنه ملك ويقولون فى صراخهم (ليس ملكا الا قيصر)

هناك قول لبعض المؤرخين للقرن المسيحي الاول بأن يهوذا عندما أكله الندم وفكر فى الانتحار طرأت عليه فكرة يرتاح اليها ضميره الذى كان يؤذبه فدخل وسط الزحام والركب سائر بالمسيح وازداد عدد الجمع وارتفع الغبار تقدم الى المسيح وحمل عنه الصليب ومكنه من الهرب بمساعدة بعض تلاميذ المسيح أنفسهم .

وفرض آخر نستطيع الجزم به وهو أنه أثناء سير الركب اختفى المسيح بمساعدة أتباع بيلاطس ، وعندما شعر الجنود بهروبه فلم يجدوا بدأ من أن يتصرفوا بسرعة حتى لاتلتفت الانظار وتكتشف غيابه ويحصلوا على فريسة مكان فريستهم التى ضاعت من بين أيديهم ، وكانت المصادفة هى التى حلت المشكلة حين قابلوا «سمعان» القيروانى فوجدوا فيه ضالتهن المنشودة فحملوه الصليب واعتبروه المسيح . والقصة توضح لنا أن اليهود من الاصل كانوا غير متأكدين من شخصية المسيح ولذلك استعانوا بيهودا الاسخريوطى للارشاد عن شخصه فأرشدهم اليه بإشارة القبلة له ، وذلك ما يجعل احتمالا أنهم ظنوا عند وصول الركب اليهم أن حامل الصليب هو المسيح فأخذه رؤساء الكهنة الى الصليب فى الحال ، وبذلك كان سمعان هو المصلوب الذى دوخ العالم واحتار المرخون فى أمره .

اذن كل شئ فى الاناجيل عن صلب المسيح يعتبر منافيا للحقيقة لأن ماسردناه من نقاط يوضح لنا جليا ، بل ويجزم أن المسيح لم يصلب ولم يعلق على خشبة الصليب .

ثم لمن كان هذا الصليب؟ كان لابن الله كما يقولون ، وأستطيع أن أقول انه لايستطيع أى انسان مهما كان عقله تافها أن يقول ان الله العظيم أرسل ابنه الحبيب الى هذا العالم كى يلقى مصرعه

على خشبة الصليب بطريقة وحشية لترضية نغمته على العالم .
والا لقلنا ان الله راض عن تلك الجريمة ، وأن الذين ارتكبوا
هذه الجريمة مبرأون منها لأنهم ارتكبوها بأمر الله ، ويكون الله
قد أمر بسفك واشترك معهم « وحاشا لله » .

لقد كان الصلب خدعة ولكن الذين لم ينجرفوا فى التيارات
وأمّنوا بربهم أنار الله بصيرتهم فهدوا الى أن تلك الحادثة
الخداعة عديمة التأثير على عدالة الله وضبط قوانينه . تلك
الشرائع التى تنص على مسئولية الفرد وحده عن عمله وجزائه .

ولقد جاء فى التوراة فى سفر زكريا فى الفقرة العاشرة من
الإصحاح الثانى عشر « وأفيض على بيت داوود وعلى سكان
أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون الى الذى طعنوه .»

ويقال ان التوراة تنبأت بأن أهل أورشليم ستحل عليهم النعمة
والتضرعات فيعرفون الذى طعنوه بأنه غير المسيح فتفرح قلوبهم
بعد الحزن ، ويضحكون ويمرحون بعد النواح والبكاء . وهنا
« ينظرون » معناها أنهم سيعرفون . أى أن العالم سيكتشف فيما
بعد من الذى صلبوه ومن الذى طعنوه .

وكل ما ذكرته الروايات فى كلمات قالها السيد المسيح او
منسوبة اليه فى الساعة التى زعموا أنه صلب فيها موجودة من
قبل فى أسفار التوراة واستحدثوها للإيهام وسبك الخدعة ويمكن
ضرب الامثال على ذلك لا حصراً :

فقد جاء فى سفر أشعياء :

« حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه . وفي الوقت نفسه وردت في إنجيل متى عند ذكره حادثة الصلب .

وقد قال داود في مطلع مزموره الثاني والعشرين « ايلي ايلي . لماذا شبقتني » أى « الهى الهى لماذا تركتني » وذكرت في جميع الأناجيل عند سرد قصة الصلب كما جاء فى مزمور داود الحادى والثلاثين الفقرة الخامسة « فى يديك أستودع روحى » وجاءت على أنها على لسان المسيح .

وروى داود فى مزموره التاسع والستين الآية الحادية والثلاثين « فى عطشى سقونى خلا » ونسبوا للمسيح على أنه سقوه خلا عند صليبه .

ولم يتأثر رجال الكنيسة بأسفار العهد القديم فحسب انما تأثروا بالمصريين والبابليين والسوريين واليونانيين والهنود والأسيريين والرومان والفرس وغيرهم حيث ان هذه الشعوب ظهر فيها قبل ميلاد المسيح آلهة مخلصون جاءوا لى خلاص العالم وكلهم ماتوا من أجل خطايا البشر فقد ظهر فى مصر « أزوريس » و « بعل » فى بابل ، و « كرشنا فى الهند ، وبالى فى آسيا و « تاموسى » فى سوريا ، « ابو بوفسيوس ، وبومسيوس » فى اليونان وهكذا .

ويمكن أن نلخص عقائد البابليين فى بعلمهم حتى يتبين وجه الشبه بين عقائد المسيحيين فى مسيحهم وعقائد البابليين فى « بعل » (١) فكما أخذ بعل أسيرا أخذ المسيح أسيرا ،

(٢) وحوكم كل من البعل والمسيح ، فالاول حوكم فى قاعة المحكمة والثانى حوكم فى قاعة بيلاطس .

(٣) وكما ضرب بعل جلد المسيح ،
(٤) وكما أخذ بعل الى الجبل أخذ المسيح الى الجمجمة ،
(٥) وكما أخذ مع بعل مجرمان أطلق سراح أحدهما ، أخذ مع
المسيح لصان أطلق سراح أحدهما برأباص .

(٦) بعد قتل بعل تهدمت المدينة ، وكذلك بعد صلب المسيح تحطم
الهيكل وخرج الموتى ودخلوا المدينة

(٧) أخذت ملابس بعل واقتسم الجنود ملابس المسيح .

(٨) وكما ذهب بعل الى الجبل واختفى من الحياة ، خرج

المسيح من القبر وذهب الى عالم الأموات

(٩) وذهبت امرأة تيكى عند قبر بعل وذهبت مريم المجدلية تبكى
عند قبر المسيح .

(١٠) عاد بعل الى الحياة ثانية ، وارتفع المسيح من القبر حيا .

وأعتقد أن هذه المقارنة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك في أن
الذين هدموا العقائد المسيحية استطاعوا أن يؤثروا في عقول
البشر حيث لم يجدوا عناءً للابتداع وإدخال الأقاويل وتحريف
الإنجيل مما كان له الأثر الواضح في انحراف المسيحية عن
حقيقتها .

وانى في هذا المقام اتماماً للموضوع وإيفاء للبحث حقه
لا يسعنى الا أن أشير الى تاريخ الصليب باعتباره أحد المؤثرات
التي تأثر بها حواريو المسيح .

ان اكتشاف النار كان من أهم الاكتشافات التي توصل اليها
الانسان الأول وقد عرفها الانسان بالصدفة بواسطة الاحتكاكات

التي كانت تحدث بين بعض الاشجار الجافة والمواد الصلبة -
وبذلك توصل الى توليد النار بواسطة احتكاك قطعتين من العصي .
ومن ثم سحر الانسان بالنار لدرجة العبادة ثم عبد النار فعلا
ثم تطورت العبادة الى قداسة ، وقد اوجب التقديس أن يجعل للنار
شعارا ، وكان ذلك الشعار عصاتين متعامدتين كالصليب .

كما كان المصريون يتخذون الصليب رمزا للحب والتضحية
من أجل الحب كان اليهود ينظرون الى خشبة الصليب على أنها
أداة تعذيب الخارجين على القانون ، ولذا اعتبروا أن كل من
يموت على خشبة الصليب ملعون ، ولذا نجد في كتبهم كثيرا ،
ومن هنا نقل العهد الجديد هذه العبارات والعبادات . . .

فمثلا جاء في أعمال الرسل : - « ولما أتموا كل ما كتب عنه
انزلوه عن الخشبة وجعلوه في قبر » ورسالة بولس الى أهل
غلاطية الاصحاح ٣ آية ١٣ « المسيح افتدانا من لعنة الناموس
ان صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » .

وهو يقصد ما كتب في التوراة في سفر التثنية والذي يقول :

« واذا كان على انسان خطيئة حقها الموت فقتل على خشبة
الصليب لا تبت جثته على الخشبة بل قد تدفنه في ذلك اليوم
لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب الهك
نصيبا » .

والجدير بالذكر هنا أن العبارة فيها اعتراف لبولس أن من
يبعث على الخشبة يكون ملعونا على حسب نواميس اليهود .

وبذلك هو يتضارب مع ما قاله المسيح عن نفسه من أنه كان مباركا
ومقدسا ومرضيا عنه من الآب .

والقصص والروايات عن طريقة موت المسيح تختلف كل منها
عن الأخرى ففي رواية تكاد تكون الوحيدة في بابها أنه جاء الجند
وكسروا ساقى المصلبين اللذين صلبا مع المسيح ، وأما يسوع فلما
انتهوا اليه رأوه قد مات لم يكسروا ساقه ، لكن واحدا من الجند
فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دم وماء .

من العجيب أن نرى في الاخبار والروايات التي تروى عن
موت المسيح استثناء دائما للمسيح فمرة يأتون له بشخص يحمل
له الصليب ومرة لا يكسرون ساقيه بحجة أنه قد مات وهكذا نرى
كسر القوانين والعادات اليهودية مع المسيح على طول الخط .

ومع سيرنا مع هذه الرواية في سردها حتى النهاية حين
نشير الى الآية اللقائلة (أن الذى شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه
يقول الحق للايمان لأن هذا كان ليتم الكتاب أنه لا يكسر له عظم) .

وهنا نجد التناقض الواضح اذا كان المسيح قد صلب فمعنى
هذا أن المسامير قد دقت فى لحمه وعظامه اذ لا يمكن أن نفضر
العظام عن اللحم ولقد ثبت أن الجسم لا يعلق بدون سقوط الا اذا
دقت المسامير فى عظام الرسغ - وبهذا تصل الى النتيجة أن
العظام كسرت ومعنى هذا أن الكتاب لم يتم ، فاما أن الكتاب خطأ
واما الصلب لم يحدث .

وليس امامنا أى استنتاج الا أن نقول أن سفر العدد ذكر

وصف ذبيحة الفصح فى الفقرة الثانية عشرة فى الاصحاح التاسع ، ولا يكسروا عظما منه حسب كل فرائض الفصح يعملونه وعلى ذلك استنتج المسيحيون عامة ، والحواريون خاصة ، أن الله يطلب ضحية تذبح ويسيل دماؤها من أجل رضائه على العالمين .

اذن فالمسيح لم يصلب وأن المسيح جاء بالمسيحية دين سماوى ورسالة الهية ليخرج بنى اسرائيل من ظلمات الماديات الى نور المعنويات السامية ، وليكمل ناموسا جاء من قبل ، ولم يكمل على يد موسى والانبياء من قبله . وقد أشارت الى ذلك الفقرات السابعة عشر والثامنة عشر من الاصحاح الخامس من انجيل متى ونسبت القول الى المسيح : « لا تظنوا أنى قد جئت لأنقض الناموس والانبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » .

وانى لا يسعنى هنا الا أن أعلن أن كل ما أمنت به ودرسته من قبل كان الغازا وشبه عقد لم استطع حلها آنذاك ، ولكن لما أراد الله لى الهداية وضح فى أنه لا يقوم دليل واحد يثبت صحة العقيدة التى نشأت عليها ، وأن الاله الذى أمنت به كان انسانا مظلوما وبشرا رسولا ألهم قومه تارة ونسبوا بنوته لله تارة أخرى ، ولذا آثرت أن أبحث عن الاله الحق ، لأن الحياة لا فائدة فيها بلا عقيدة سليمة تريح النفس ويطمئن اليها القواد ، تتبع من فطرة الانسان السليمة التى فطر الله الناس عليها ، وبرئت من عقيدة كلها ترهات تقليدية يؤمن بها الانسان مقلدا بلا ارادة ولا تفكير .

ومن هنا بدأ بحثى عن عقيدة أو دين يوصلنى الى الايمان
الصحيح بالله الذى عزمت أن أخلص له دينى ، الاله الواحد
الصمدى الأزلى الذى يتنزّه عن المولودية والولد ، الرؤوف الرحيم
الغفور بلا ضحية يقبل التوبة عن عباده .

وإذا كان المسيح قد جاء ليكمل ناموس موسى والأنبياء كان
لابد من مجيء متمم لناموس موسى والأنبياء وعيسى . ومما يؤكد
هذا أن المسيح قال فى العبارة التى ذكرناها أنه : « الى أن تزول
السموات والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من
الناموس حتى يكون الكل » .

فالى البحث عن متمم الناموس والبحث عن الكتاب الذى أشار
إليه رسول الله المسيح بأنه الكل ما فرط فيه الله من شيء .

الفصل الحادى عشر ناموس موسى

كان لابد للمقتبِع الدارس الذى يريد أن يصل الى الناموس المتمم الذى جاء بعد الناموس المكمل أن يشير الى الناموس المكمل ، لأننا اشرنا فى الفصل السابق أن السيد المسيح عليه السلام جاء مكتملا لناموس موسى والأنبياء .

والمعروف لدى جميع الأديان أن الله أرسل رسله للناس جيلا بعد جيل ليخرجوهم من ظلمات الجهالة التى اسقوت على عقول البشر فأعمتهم عن الخالق فعبدوا من دونه أصناما وأنصابا وحجارة حتى وصل الحال بالناس الى أن عبد بعضهم البعض مما كان لابد من بعث رسل يرسلهم الله عز وجل لئلا

يكون للناس على الله حجة فيأتون مبشرين ومنذرين ، وهنا
تتجلى محبة الله لخلقه وكان الله عزيزا حكيما .

ونحن بصدد البحث عن الايمان بعقيدة ثابتة ترصدنا
الى الله عز وجل ، فانا نكتفى بأن نشير الى ناموس موسى
(أى شريعة موسى) حتى نصل الى التسلسل العقائدى الصحيح
الذى يخرجنا مما نحن فيه من حيرة .

ان ناموس موسى هو ما جاء به لبنى اسرائيل ، وقبل ان
نمضى فى الموضوع كان لابد أن نشير الى معنى كلمة «اسرائيل»
التي معناها فى العربية « مخلوع الفخذ » ويقول مؤرخو العهد
القديم كما جاء فى التوراة أن يعقوب عليه السلام كان مخلوع
الفخذ (أعرج) فنودى « يا اسرائيل » وقد روت التوراة قضية
خلع فخذ يعقوب فى سفر التكوين الأصحاح الثانى والثلاثين
فى الفقرات من الثانية والعشرين الى الخامسة والعشرين أنه
عند رجوع يعقوب عليه السلام من عند نخاله ، بعد أن تزوج
ابنته وأنجب منها ، صارعه انسان فخلع حق فخذه وتجلى عليه
الرب وسماه اسرائيل . ولذلك سمي بنوه « بنى اسرائيل » الذين
عاشوا فى أرض الشام بلاد كنعان « فلسطين » .

ويروى العهد القديم أنه كان ليعقوب اثنا عشر ولدا يجب
اثنين منهما لأنهما من زوجته التى أحبها دون الأخرى ، وكان
حبه لزوجته راحيل كما ذكر سفر التكوين من دوافع حبه لولديها
« يوسف وبنيامين » مما أوقد نار الغيرة والحقد فى قلوب العشرة
الأخرين من أبناء يعقوب .

مما جعل الاخوة يضمرون شرا ليوسف وأخيه واتفقوا على أن يتخلصوا من يوسف حتى يخلو لهم وجه أبيهم ، ولذا طلبوا من أبيهم أن يصحبوا يوسف معهم الى الرعاء .

ومع احساس يعقوب بما يضمره الاخوة وما يكنه الغيب ليوسف الا أنه كان مدفوعا الى تحقيق رغبتهم واجابتهم لمطلبهم ، بعد أن أخذ عليهم موثقا ، تنفيذا لمشئته عليا وضحت صورتها في رؤيا يوسف المشهورة ، والقصة مشهورة من بدايتها الى نهايتها « قصة يوسف » التي انتهت بمجيء يعقوب وبنيه الى مصر .

ومن هذا التاريخ سكن بنو اسرائيل مصر ، وكانت اسباب بنى اسرائيل الاثنا عشر ، فتناسلوا وكثر عددهم حتى جاء عصر استعبادهم على يد فرعون مصر ووزيره هامان الذى انتهى بأرسال موسى من لدن الله ليخرجهم من الذل والعبودية .

ذهب موسى الى فرعون مصر الذى طغى مؤيدا من ربه بالمعجزات والآيات البيّنات التى أجبرت فرعون على السماح لشعب اسرائيل بالخروج مع موسى . ولكن فرعون تتبعهم فكان وجنوده من المغرقين الا فرعون جعله آية لمن بعده لقوم يوقنون .

كل ما حدث من معجزات وآيات حدث أمام أعين بنى اسرائيل وهم يعلمون أن هذا النبى وهذه المعجزات والآيات هى من لدن الحكيم الخبير لانقاذهم من براثن الطغاة ، مما كان يجدر بهم أن يحمّدوا الله الذى أخرجهم من العبودية وحررهم من الذل والسخرة وأنزلهم منازل العز باطلاق اسم « شعب الله المختار » عليهم .

كان المفروض فيهم وهم الذين توجوا بهذا التاج أن يكونوا مخلصين لله دينهم شاكرين لأنعمه فيأتمرون بما أمرهم وينتهون عما نهاهم عنه ، ولكن هيهات لقوم استعبدتهم الدنيا حتى خيم على قلوبهم الرين فحجب عنها الايمان ، فمالوا الى البذخ حتى أعمى أبصارهم فتقاعسوا عن طاعة ربهم بعصيان أوامر نبيهم .

ان رحيل موسى ببني اسرائيل من مصر كان يحتاج الى ايمان ثابت لأنه كان مرحلة من المراحل التي تصادف كل أمة تريد أن تأخذ دورها في حياة المعزة والسؤدد ، لذا لم يكن بالامر الهين حيث لم تكن الرحلة سهلة مريحة ، لأن خروج شعب يبلغ تعداده - كما يقول المؤرخون - حوالى أربعة آلاف نسمة تركوا بيوتهم وما فيها غير القليل من أثاثهم الذى يحتاجونه أثناء الرحلة ، من الطبيعى أن تكون مثل هذه الرحلة محفوفة بالمشاق وشظف العيش ووعثاء الطريق ، مما يمكن أن يتحملة بصدر رحب قوم مغلوبون على أمرهم يطلبون العزة وأرض معادهم ، كما يجب أن يتقبل القوم كل جهد يأتى نتيجة جهادهم للوصول الى أهدافهم فى صبر ورضا ، لأنهم سائرون فى طريق الحرية الكاملة والسيادة ، وبناء حياة جديدة جديرة بأن يبذلوا فى سبيلها النفس والنفس .

ولكنهم كانوا على عكس ما كان يجب ، لأنهم عندما وصلوا الى سيناء نكصوا على أعقابهم وتذمروا وأعلنوا الثورة على نبيهم رافعين راية العصيان ، لأنه كما ورد على لسانهم فى التوراة ندموا على ترك مصر متهمين موسى على التفرير بهم

يقصد هلاكهم فى الصحراء ، ضاربين بكل الوصايا والتعاليم
عرض الحائط .

ان الوصايا التى أنزلها الله على موسى فى ألواح وصحف ،
تأمر بنى اسرائيل أن يعبدوا ربهم ولا يشركوا به شيئاً
والأ يصنعوا تماثيل منحوتة ، ولا صوراً ترمز الى أهل السموات
والأرض أو البحر يقصدونها من دون الله ، والأ يقولوا على الله
الأ الحق ، ويكرموا الأب والأم ، والأ يقتلوا النفس التى حرم الله
قتلها إلا بالحق ولا يزنون ولا يسرقون ولا يشهدون الزور
ولا يحسدون أحداً على نعمة أنعمها الله عليه ولا يطمعون فى
أموال غيرهم ، كما حرمت عليهم استعمال الذهب والفضة
فى صنع تماثيلهم ، ولا يبنون هياكل لتؤخذ ضراراً وأوكاراً
للشرك بالله ، كما أمرهم أن يطلقوا سراح العبيد بعد خدمتهم
سبع سنوات ، والأ يأكلوا حقوق اليتامى ، وأن يحفظوا حق
النساء بعد تسريحهن ، ووجهتهم الى أحسن المثل وأعلاها
وأسمائها فى المعاملات ، وحفظ حقوق الناس وأوصيتهم التعاليم
بألغريب واخراج عشور أموالهم وما الى ذلك .

ولكن القوم لم يحفظوا هذه الوصايا والتعاليم ، ونبذوا شريعة
الله فى حياة موسى وبعد انتقاله ، ففى حياته ضربوا أسوأ الامثلة
فى الضلالة والطغيان وعمى البصيرة ، وبعد انتقال موسى كانوا
أشد عمى وأكثر ظلماً .

لما صعد موسى الجبل ليكلّم ربه ، اجتمع بنو اسرائيل فى

غيبته وجمعوا من حلبيهم وذهبهم وصنعوا لهم عجلا لها تشبهها
بمن قابلوهم من الشعوب ، والله محيط بهم ويعملهم فأخبر موسى
بما وصل اليه القوم فرجع غضبان أسفا ليجدهم يرقصون لالههم
مما زاد غضبه وطرح الألواح وكسرها واتجه الى العجل فأحرقه
ونسفه فى اليم نسفا (١) وقصة بنى اسرائيل يجمع عليها جميع
أصحاب الاديان الوضعية والسماوية .

وجميع الكتب السماوية قد أجمعت على لعنة الله لبنى
اسرائيل لأنهم حادوا عن جادة الصواب عندما تلاعبوا بشرائع
الله فعصوا وكانوا قوما عامين ، فتفشى فيهم كل عمل تبيح
حيث بنوا الهياكل للآلهة وصنعوا التماثيل وعبدوا الاصنام
المنحوتة التى احتفظوا بها فى بيوتهم مثل (البعل) ، و(الطرفين)
و (العشطاروث) و (البعليم) وغيرها من الأصنام ، وانتشر
بينهم الزنا ، وكثرت الفحشاء ، وجعلوا المادة كل همهم فى الحياة
واتخذوها وسيلة لاستعباد غيرهم من الشعوب ، وطفى غنيهم
على فقيرهم ، وبطش قويهم بضعيفهم ، واحتقر عظيمهم حقيرهم
وقتلوا أنبياءهم ، وأحلوا أسواقهم محل بيوت العبادة ونصبوا
فيها موائد الربا الفاحش حتى ضاعت بينهم المثل العليا وعم
الفساد واستشرى . وانقسموا شيعا وأحزابا منهم السكتية
والفريسيون والربانيون والقرائيون ، وانقسموا أخيرا الى دولتى
صهيون واسرائيل حاربت كل منهما الاخرى ، مما جعل اللعنة

(١) ارجع الى كتاب اليهود من الكتب المقدسة للمؤلف .

تنزل عليهم وتضرب عليهم الذلة والمسكنة ويؤوؤوا بغضب من الله
فكتب عليهم التيه فأصبحوا عن رحمة الله مبعدين .

ان رسالة موسى فى جوهرها كانت تتجه الى تنظيم الحياة
الدنيا تنظيما يتفق وروح العصر الذى جاءت فيه . كما كانت
تتفق وحاجة الشعب المهاجر ، لأن من سنة الله - ولن تجد لسنة الله
تبديلا - أن كل دين يتفق وروح العصر الذى جاء فيه هذا الدين
والشعب الذى جاء من أجله الدين .

فرسالة نوح كانت تدعو كما كانت دعوة ابراهيم تدعو الى
عبادة الله والايمان به وترك عبادة الاصنام ولم تتعرضا للحياة
الاجتماعية الا النذر القليل الذى تقضى به الضرورة كدرء المفاسد
وغيرها .

كما كانت رسالة لوط وشعيب وهود وصالح بجانب الدعوة
الى الايمان بالله كانت تدعو الى محاربة عادات فاسدة متأصلة فى
كل أمة بن الامم التى بعثوا اليها .

وكذلك رسالة موسى كانت محددة المعالم ، التى أهمها انقاذ
ذلك الشعب المستعبد والخروج به من قبضة فرعون وملئه ، وان
تضمنت الدعوة الى فرعون ليعرف ربه ، ولكنها فى النهاية لم
تتعد تنظيم هذا الشعب وكفالة الاستقرار له فى مهجره ، فكانت
ناموسا محددًا لشعب محدد فى عصر محدد لا يمكن أن تتعداه
الى عصور أخرى تبعا لتطور المجتمعات وتقدم الحضارات .

وبعد أن انتقل موسى جاء أنبياء ومنتنبئون ، كان جل دعوتهم

تركيزا لدعوة موسى عليه السلام ، فواجهوا شعبا صلب الرقبة
كما وصفه موسى (غليظ القفا) لا يعيرهم أننا صاغية الا القليل
ولكن الكثرة كانت جاحدة ، قتلت بعض هؤلاء الانبياء ورجمت
الآخرين .

وبانحراف قوم موسى عن دعوته ، ولأن الدعوة - كما قدمنا -
كانت قاصرة على الماديات ، ولأن القوم انجرفوا فى تيار المادة
وانحرفوا عن صفة الاعتدال حتى أخذوا الى الارض .

كان لابد من أن يرسل الله بشرا رسولا برسالة يغلب عليها
السمو وترتفع بالبشرية من المادية الجامدة الى المعنويات
الخالدة ، وذلك كدواء للقلوب المتحجرة والعيون التى أعماها
بريق الذهب والفضة والنفوس التى ران عليها ظلام الخطيئة
فتحيا من جديد وتخرج من سباتها العميق الى التفكير فى رب
السموات والارض وعبادته وحده .

فكانت رحمة الله لعباده واعطاء بنى اسرائيل الفرصة
ليثوبوا الى رشدهم فيفتح الله لهم أبواب مغفرته اذا ما عادوا
وتائبوا فيجدوا الله توابا رحيمًا .

أرسل الله اليهم المسيح عيسى بن مريم بناموس يكمل ناموس
موسى والانبياء ، ولذا ارسله آية فى ولادته ومعجزة فى خلقه
وروحانيا فى رسالته .

الفصل الثاني عشر المسيح والناموس الكامل

من الواضح بعد ما تقدم أن بنى
اسرائيل أعمتهم الضلالة مما كان
لايد معه أن يرسل اليهم رسول
بناموس يكمل ناموس موسى على أن
تكون فيه صفات الاعجاز ولو بنقطة
توقظ عندهم روح المناقشة ، ولذا
أرسل الله المسيح معجزة روحية
بحثة تتمثل فيها قدرة الله وتتجلى
فيها عظمة الخالق سبحانه وتعالى
حتى تفيق النفوس وتنتبه فيتحول
تفكيرها من الارض الى السماء ،
وتنتزع من القتراب والرغام الى
آفاق بعيدة من النور الالهي ،
وهكذا كان خلق المسيح عليه السلام
من أم دون أب خلقا من روح الله
فكانت معجزة المعجزات في عهدهم

جعلتهم فى حيرة من أمرهم وأخيراً لم ير أكثرهم بدا من الإيمان
به كمخلص أتى ليخلصهم من بؤرهم .

ان رسالة السيد المسيح عليه السلام كانت رسالة روحية
تولد العشق الربانى الناتج عن حب العبد لربه ، جاءت ناموساً
للضمير نسيجه النور الالهى ، ونبراساً للقلب المنتظر فى تحفز
لمتلقى الضوء الذى يستنير به ، وخطاباً ملكياً مرجحاً للنفوس التى
تبحث عن الطريق السوى من خالق النفوس ومسويها يلهمها
تقواها فتمسك بذلك الطريق بمجرد الاهتداء الى أول خيط
من خيوطه .

جاءت المسيحية تنادى بالوحدانية المطلقة عن حدود القيد
وعدم الشرك بالله حين قالها السيد المسيح « اسمع يا اسرائيلى
الهنا رب واحد » . جاء المسيح داعياً الى محبة الله تلك المحبة
التى يجب أن تملأ القلوب بحيث لا تكون هناك محبة فى القلب
سوى محبة الله ، وتحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن
كل فكرك » .

جاءت المسيحية على لسان المسيح خالية من المادة والحدود
والقوانين لأنها جاءت لتبصر أعينا ونفوساً طمستها المادة
فأعمتها عن جلال وجمال مطالب الروح ، وتدعوها الى التخلص
من شوائب الشرك والسير فى طريق الله ، جاء المسيح ليداوى
مرضى النفوس والقلوب وقد بين فى قوله الهدف من جيئنا
باعتباره طبيباً « لايحتاج الاصحاح الى طبيب بل المرضى » .

جاءت المسيحية تعلن على الملأ أن الحياة الحقيقية للذين

يحيون فى الله ، وأن الحياة فى الله معناها تفضيل كل عمل
للآخرة على أى عمل فى الدنيا ، وأن الحياة ليست هى حياة
الجسد ، انما الحياة هى حياة الروح وحياة الروح هى الفناء فى
الله ، فيأخذ الله نفس العبد منه اليه ويشغل بوجود الله عن
وجوده ، وأن المؤمن هو الحى وأن لا حياة بلا ايمان ، ويتضح
جليا هذا الامر عند ما جاء أحد أتباع المسيح يستأذنه فى دفن
أبيه غير المؤمن ، فقال له المسيح عليه السلام : « دع الموتى
يدفنون موتاهم » •

قد اعتنت تعاليم المسيح عليه السلام بالروح أكثر من الجسد
واعتبرت أن الجسد اثناء للروح ، وكثيرا ما يحمل جسد نفسا
شريرة فلا يستحق هذا الجسد الحياة ، ولذا قال لتلاميذه :
لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، بل الخرى أن تخافوا من
الذى يقتل النفس والجسد » •

والمسيحية بحكم طبيعة القوم الذين بعث فيهم السيد المسيح
كانت تنفر من المادة وتبغض المال وتخير أتباعها بين أمرين :
اما أن يخدموا المال أو يخدموا خالق الانسان وماله « لا يستطيع
أحدكم أن يخدم سيدين ، اما أن يخدم الله أو يخدم المال » •

كان حب الله رمزا للمسيحية فى كل أطوار رسالة السيد
المسيح حيث كان يقول لهم : « من أحب أبا أو أما أو أبا أو ابنا
أكثر من الله فهو لا يستحق أن يكون مؤمنا » •

وهكذا جاءت المسيحية ناموسا من النور المعنوى ليكمل
ناموسا ماديا حيث لا تستقيم الماديات بلا معنويات تكملها ،
« وكذلك لا تستقيم المعنويات بلا ماديات تحركها ، لأن الجسد

بلا روح يصبح هشيما تذروه الرياح ، والروح لا بد لها من جسد
تمتطيه أو تتجلى عليه فتدفعه وتحركه الى غاياتها السامية » .

ان المسيحية جاءت ناموسا مكملا لناموس موسى بالمعاني
الخالدة والتعاليم الصافية للايمان . لا تعترف بالشعوذة حيث
لا طقوس فيها ، لاتؤله بشرا لأنها تدعو الى عبادة الله وحده ،
ولا تنادى الا باله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا أحد .

وما المسيح الا بشرا رسولا : اعترف في أكثر من موضع
من مواضع الانجيل أنه ابن الانسان ، كما أشار أكثر من مرة
أنه رسول قد خلت من قبله الرسل ، ودعا الناس لأن يقبلوه كنبى
ومن قبله كنبى ، فله أجر نبى ، وأشار الى أن من يقبل الرسول
يقبل من أرسله « من قبلنى فقد قبل الذى قبلنى وهو حق » .

فسلام الله على المسيح عيسى وعلى من قبله من الانبياء .
الذين جاء من بعدهم ليكمل شرائعهم ونواميسهم .

وهنا نقول اتماما للبحث يجب أن نبحث عن الناموس المتمم
الذى يجمع بين الدنيا والآخرة ويصلح من عقائد الربوبية ، وينزه
الخالق عن الوالدية والمولودية ، والذى يفتح باب التوبة للعصاة
بلا قنوط ولا يأس من روح الله ولا يعترف بخطيئة موروثية ، ولا
ذنب لأى من البشر الا بما قدمت يداه . والذى يعالج المجتمعات
ويقيم الدول على أساس سليم بغير انكباب على الدنيا حتى لاتصدأ
الروح. ويبتعد المخلوق عن الخالق فينفلت عيار المجتمعات ،
وبدون رهبانية ولا عكوف فى الصوامع ودور العبادات حتى
يتعطل ركب الحياة .

الفصل الثالث عشر

الناموس المحمم

ان ناموس موسى كان تنظيماً
لشعب مهاجر ، كما كان وقفاً على
هذا الشعب ملائماً لطبيعته المادية
التي جبل عليها مما جعله غير كفيل
بالتعميم ، كما كان يميل
بالتنظيم الدنيوي ، الا قليلاً من
الوصايا التي توجه الى الله والى
الحياة الآخرة ، مما حدا باليهود
الى الانحراف والانكباب على الدنيا
انكباباً جعلهم لا يفرقون بين الحلال
والحرام . بل كان كل همهم ارضاء
شهواتهم بجمع المال مما ربي فيهم
الاثرة والأثانية وحب الذات . .
العوامل التي أنستهم المثل العليا
فنسوا «نسوا الله فأنساهم أنفسهم»

وجاء ناموس المسيح عيسى مكملًا لشريعة موسى لتلاشي
الثغرات ، ويصلح من حال اليهود ويقوم اعوجاجهم ، فدعا الى
الروحانية المطلقة فكانت رسالة المسيحية داعية للصفاء الروحى ،
والرحمة واللين والتسامح والزهد .

وكان من أهم أهداف السيد المسيح عليه السلام التهذيب
الروحى والتطهير الوجدانى ، ونقد بل محاربة الطقوس الجامدة
والمظاهر الخاوية فى شعائر اليهود ، ورد الروح والحياة الى
الضمير الاسرائيلى وبذلك تركت المسيحية « ما لقيصر للقيصر وما
لله لله » وصيغت على أساس أن الدين صلة بين العبد وربّه ، وأن
القانون صلة بين الفرد والدولة .

ومن هنا كانت العزلة بين الدين والدنيا فى حياة كل من
اليهود والمسيحيين ، ولكن الحقيقة الراقعة ننطق بأن طبائع البشر
تخالف ذلك . إذ لا تستقيم حياة كل شىء فى هذه الدنيا الا بالدافع
الدينى ، وكذلك ليس للدين قائمة الا بالدنيا ، إذ الدين والدنيا
توأمين لا ينفصلان .

مما كان لابد من ناموس متمم فى شكل جديد بحيث يتولى
الانسان فيضع قوانينه ونظمه ، كما يتولى فى الوقت ذاته ضميره
لايفرق بين السلوك والمعاملات ، فيكون الجمع بين الدين والدنيا
فى توجيهات ذلك الناموس وتشريعاته ، وبذلك يتم التوحيد بين
عالم الارض وعالم السماء فى نظام واحد يعيش فى ضمير الانسان
قردا ، كما يحيا فى واقع ذلك الانسان كجماعة ، فلا ينفصل النشاط

العملى عن الوازع الدينى ، ولا يتعدد جوهر الدين الموحد وان
اختلفت مظاهره ومسالكه .

ولا بد للبشر من ذلك الناموس وتلك الشريعة وهذا التشريع
المتكامل الذى تكون تعاليمه وتوجيهاته وشعائره التعبدية حلقة
متصلة متماسكة ، وعباداته ومعاملاته غير منفصلة احداها تكل
الاخرى ، ويكون قوامه الاتحاد التام بين الحياة فى هذه الدنيا
وبين الحياة فى الآخرة ، كما يحتم المزج بين العقيدة والاجتماع .

ولا بد للحياة من أن تخلو من الكهانة والوساطة بين الخلق
والخالق ، فكل انسان فى أطراف الارض وفى فجاج البحر
يستطيع بمفرده أن يتصل بربه بغير وساطة كاهن أو قسيس ،
فلا يجب أن يكون لانسان ما حق خاص فى رقاب الناس ، ويجب
أن يكون الكل مصيرهم الى الله .

لأن أى مبدأ من المبادئ أو دين من الاديان يشتم منه رائحة
الجنوح الذى يخالف طبيعته البشرية التى جمعت بين اللطيفة
الالهية والطبيعة البشرية كليل بأن ينفر الناس منه .

لأنه قد يطرق سمع الانسان نداء يدعو الى اعتناق دين من
الاديان فيفر من هذا الدين بعد نظرة خاطفة الى مظهره نتيجة
تنسم رائحة التكليف المبنى على الارغام والاكراه على اعتناق هذا
أو ذاك دون مناقشة أسراره وتعاليمه والبحث فى خفاياه ، لأنه من
العسير على العقل الراعى والوجدان المتحرر والضمير اليقظ
والالهام الفطرى أن يطمئن لدين يجبر معتنقيه على الايمان به ،

وذلك يخالف ما فطر عليه الانسان من حرية التفكير والبحث في
كنه ما يدري وما لا يدري .

لأن الانسان دائما بفطرته جبل على أن يمعن النظر وينصت
ويصيحح السمع الى الدين الذى يحل جميع مسائله المعقدة التى
تعرضه فى مرحلتى حياته حاضرا ومستقبلا ويضع حدا لصراعه
الفكرى .

وكلما كانت الدعوة التى يدعى الانسان الى الايمان بها
سلسلة واضحة لا تعقيد فيها ولا تكليف ولا اكراه ، تحمل فى
ظاهرها وباطنها ما يتفق والفطرة البشرية التى فطر الله عليها
خلقه . كانت دعوة غنية بوسائل الدعوة لنفسها ومبادئها ،
ويتهافت الناس على الايمان بها بدافع الفطرة لانها لا تحتاج الى
دعاة يستعملون أساليب الكياسة والذئبة المدعمة بمعسول الالفاظ
والمنطق الخلاب حتى يجروا المعتقدين اليها جرا . ويجذبوا
المؤمنين اليها جذبا ، وذلك لان الحقائق ليست بضاعة تتعلق
بمطالب ورغبات الجسد الترابى ، انما هى مطلب من مطالب الروح
والعقل ، والروح والعقل يبغيان وينشدان الحقائق الواضحة التى
لا التواء فيها ولا دوران .

وكان حتما بعد هذا الصراع الفكرى الذى خضته والمعركة
التي قامت بين العقل والعقيدة ، الوصول الى غايتى المنشودة
وأملى المرتجى وهدفى الذى أبحث عنه ، وكما كنت جادا فى
البحث متحرقا شوقا الى الوصول الى الزناموس المتمم ، كنت أيها
القارئ ترائى بعين بصيرتك أهدأ أحيانا ولم يكن ذلك ادبارا

للعقل أمام العقيدة • انما كان العقل فى هدوئه دائماً متحرفاً
لقتال حتى انتصر على العقيدة ووصل الى الناموس المتم حيث
وجده فى دين الاسلام ..

الذى ماكدت أطرق باب البحث فى دروبه ومسالكه وأمسك
بأول الخيط وأبدأ فى المقارنة بين الذى كنت أدين به وبين هذا
الدين الحنيف حتى وجدت الجواب والضالة المشوذة وفصل
الخطاب ..

وجدت لكل سؤال جواباً شافياً ، وعثرت على ما لم يستطع أى
دين سابق ، سواء كان ذلك الدين وضعياً أو منحدرًا من الأديان
السماوية أو منبأً من المبادئ الفلسفية اقناعى به من أسئلة
حائرة امتلاً بها وجدانى ..

ومن أهم هذه الاسئلة العقيدة فى الربوبية ، فوجدت الاسلام
قد وضع كل شئ فى نصابه •

واذ اعتذر الى السيد القارئ ان ائنى لن أستطيع الكتابة فى
جميع نواحي الاسلام تفصيلاً ، الا ائنى ملتزم بأن أتحدث فى موقف
الاسلام فى اصلاح عقائد الآلوهية والربوبية ، واعتراف المسيحية
بالاسلام ونبيه ، ودليل نبوة محمد صلوات الله عليه لان تلك
المواضيع تعتبر الركائز الاساسية فى سر ايمانى بعد مناحى الشرك
التي كتبت عنها فى الفصول السابقة ، ذلك بعد الاشارة الى اعتراف
المسيحية بالاسلام ونبيه وبيان موقف الاسلام من المسيح
والمسيحية •

الفصل الرابع عشر اعتراف المسيح والمسيحية بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

يقول السيد المسيح عليه السلام
انه جاء ليكمل ناموس موسى والانبياء
ولذا أصبحت كتب المسيحية المقدسة
هى العهد القديم والجديد وأصبحت
أسفار العهد القديم جزءا ضروريا
ومقدسا لدى المسيحيين لانهم يعتمدون
على ما ورد فيها فى اثبات حقيقة
المسيح وولادته وألوهيته وصلبه وما
الى غير ذلك مما ورد فى كتبهم ،
والعهد القديم يمثل التوراة التى يؤمن
بها اليهود ، ولكن لليهود تبرءوا من
النصوص الحالية لأسفار التوراة بعد
استحداث « التلمود » وهو الكتاب
المقدس لديهم ، وبعد أن قال
المسيحيون اعتمادا على الاسفار :
ليس اليهود على شىء ، وقالت اليهود

بعد استحداث التلمود : ليست النصرارى على شىء ، على هذا؟
قلنا وبيننا قولنا على ان الكتب المقدسة عند المسيحيين هي أسفار
العهد القديم مضافا اليها الاناجيل والرسالات والاعمال التى قام
بها تلاميذ المسيح وسميت بالعهد الجديد .

ولو رجعنا الى هذه الكتب المقدسة التى توجد بين يدي مسيحي
العالم على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وعقائدهم وأمعا النظر
فيها استظهارا للحقائق لوجدنا بين طياتها ما يشير اشارات
صريحة الى أن هناك نبيا سيأتى بعد المسيح على أن يكون من
صلب ابراهيم ، وسيكون من ولد اسماعيل بن هاجر .

ولكن قبل أن ندخل فى الموضوع لابد أن نمهد له حتى يكون
القارئ على بينة من تسلسله ان سماه موضوعا ، أو تتضح له
المناقشة ان سماه قضية تحتاج الى دليل الاثبات ، والتمهيد يأتى
من انجيل يوحنا الذى يقص علينا أن يوحنا المعمدان عندما ذهب
ليعمد الناس من نهر الاردن ، وكان ذلك فى عهد السيد المسيح
عليه السلام ، فتصدى له اليهود المكتوب عندهم فى التوراة أن
المسيح آت و سيأتى بعده نبى ، وسألوه سؤالا ورد فى الاصحاح
الاول الآية ٢٥ من الانجيل المذكور « فسألوه فما بالك تعمد ان
كنت لست المسيح ! ولا ايليا ! ولا النبى ! ؟ » .

من سؤال اليهود ليوحنا نستطيع أن نستنتج أن هناك نبيا
بشرت به كتبهم حيث ان السؤال كان فى عهد السيد المسيح وأن
ايليا كان نبيا من أنبياء بنى اسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح ،
وقيل انه النبى الذى أوجد فكرة التعميد التى كانت جزءا من

دعوته • والجدير بالذكر ، اشارة لا موضوعا ، ان فكرة التعميد
التطهير في مواعيد محددة وأنهار محددة كانت عند الهنود
ولا زالت حيث يغتسلون في بعض الانهار المقدسة عندهم في
أعيادهم لانها شعيرة من شعائر البوذيين التعبدية •

اذن كانت هناك ضرورة للبحث عن الاشارة الى النبي في
كتب اليهود أى أسفار العهد القديم الذى يعترف بها يوحنا صاحب
الانجيل ، وبالبحث وجدنا اشارات كثيرة فى مواضع متفرقة ولكن
لضيق المقام من حيث أن هذا الكتاب يبين سر ايمان مؤلفه بالاسلام
وبذلك كان لابد أن يطرق عدة مسالك لتوضيح السر وربما كان فى
النية اخراج كتاب يقف موضوعه على الاعتراف بنبوة المصطفى
صلوات الله عليه عند أهل الكتاب ، ولأن البحث بدأ بأن النبي من
سلالة اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، اكتفينا باثبات النقطة
الثانية وايراد الاشارات المثبتة لذلك •

فقد وردت فى سفر التكوين قصة السيدة هاجر زوجة سيدنا
ابراهيم التى سكنت بولدها فى صحراء العرب التى أشارت اليها
التوراة باسم « برية » فاران •

كما جاء فى الآية ٢٠ ، ٢١ فى الاصحاح الحادى والعشرين
« وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية ٠٠٠ وسكن فى برية
فاران » •

وهذا لا يختلف مع القرآن الكريم فى سورة ابراهيم ، على
لسان ابراهيم عليه السلام : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير
ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من

الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون» *

والقرآن حين ذكر على لسان ابراهيم « أسكنت من ذريتي »
إشارة الى ما ورد فى نفس الاصحاح من نفس السفر فى الآية
الثامنة عشرة : « قومي احملى الغلام وشدى يدك به لآنى سأجعله
أمة عظيمة » *

وهنا إشارة يجب ألا نغفلها ، أن ابراهيم أمر بذبح ابنه كما
أجمعت الكتب السماوية ، وان اختلف المسيحيون والمسلمون فى
تسمية هذا الابن ، فقال الاولون أنه اسحاق كما ورد فى سفر
التكوين ، وقال الآخرون أنه اسماعيل ، ولكن اليهود أصحاب
التوراة الحقيقيين قالوا فى « التلمود » انه اسماعيل ، ويزيدنا
تأكيدا أنه اسماعيل الذى افتداه الله بكبش عظيم ما ورد فى سفر
أشعياء الاصحاح الستين الآية السابقة « كل غنم قيذار تجتمع
اليك • كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى وازين بيت
جمالى» وقيذار ونبايوت – كما ذكرتهما التوراة – انهما من أولاد
اسماعيل وقد سماهما باسمى مكانين يقعان بين جبل عرفات(الذى
كان يقال له قيذار لعظيم قدره) وسيدى عرب مكان تشتري منه
ذبائح الفداء بالقرب من مكة (الذى قيل له انه (نبايوت) أى
مكان الذبح نسبة الى أن ابراهيم أمر بذبح اسماعيل فى هذا المكان •
وقيذار ونبايوت اسمان كلدانيان وردا على لسان ابراهيم الذى
كان يسكن أور الكلدانيين بجوار العراق وهو أول من أدخل اللغة
للكلدانية الى شبه جزيرة العرب •

اذن فاسماعيل الذبيح وهو الذى سكن أرض فاران ، والنبي

حسبنا من سلالة اسماعيل . ويزيد على ذلك انه يثبت انه من بني
زهرة وان بني زهرة ترجع فى الاصل الى نبيوت بن اسماعيل ،
والذى يزيدنا تأكيدا ان سفر التثنية ، وهو من الاسفار التى كتبت
بعد رحيل موسى الى ربه ، وضع سلسلة جميلة للانبياء وأعاد ذكر
فاران بعد اشارة بيت لحم مكان مولد السيد المسيح عليه السلام .

حيث قال فى الاصحاح الثالث والثلاثين : جاء الرب من
سيناء (مكان تكليم موسى) وأشرق لهم من (بيت لحم) وتلأ
هى فاران (مكة) .

انن النبى هو محمد الذى جاء من سلالة اسماعيل والذى ولد
فى بطحاء فاران (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة
والانجيل) وهو النبى الذى أشار اليه الكتبة والفريسيون فى
سؤالهم ليوحنا المعمدان كما ورد فى انجيل يوحنا .

وكما أشارت التوراة أشارت كتب العهد الجديد ، الا اننا قبل
الدخول فى اعترافات رسائل العهد الجديد نقول: انه وردت عبارات
وكلمات فى الأناجيل المكتوبة باللغة القبطية كلمات (الفارقليط ،
ومسيا) والاولى جاءت فى عبارة فى الانجيل المخطوط الذى كتبه
أحد البطاركة فى سنة ٥٠٦ بعد الميلاد على لسان السيد المسيح
ومعناها : (الآتى بعنى يسمى الفارقليط بندكراطور) أى الروح
المنشق اسمه من اسم الحمد سبيعت الحياة فى أمة ليست لها من
الحياة نصيب الا الضلال فى برية (فاران كجاش الأتن) -

سبق أن أشرنا أن برية فاران هي صحراء شبه جزيرة العرب (١)
وأما الكلمة الثانية (مسيا) وردت في انجيل برنابا ومعناها
(الرسول) وهي كلمة عبرية من اللغة العبرية القديمة التي ترجع
أصولها الى اللغة الكلدونية احدى اللغات التي كتبت بها الاناجيل
وبشر بها حواريو المسيح .

ولم يرو التاريخ من قبل أن نبيا أتى باسم (مسيا الفاراقليط
بندكراتور) الا رسول الله محمد الذي يتبين أن اسمه منشق من
اسم الحمد .

ويزداد الامر وضوحا حينما ندخل الى الاناجيل لنرى أن
السيد المسيح أشار الى هذا النبي في أكثر من موضع على أنه
الحجر الذي رفعه البناعون تارة ، وتارة يشير الى أن الكتاب
الذي سينزل عليه يكون الكل أي المتمم الخاتم لجميع الكتب
السماوية ، وتارة أخرى يشير الى أمته على أنها الامة التي
ستتزع ملكوت السموات وتعمل له وتجنى ثماره ، ومرة أخرى
يشير اليه على أنه روح الحق المعزى الذي يرشد الناس الى جميع
الحق ، الذي لا ينطق به عن هوى انما هو يوحى اليه .

ففي انجيل متى الأصحاح الحادى والعشرين الآيتين الثانية
والاربعين والثالثة والاربعين جاء على لسان السيد المسيح « **أمة
قرايم قط في الكتب ، الحجر الذي رفضه البناعون هو قد صار**

(١) الانجيل المخطوط منزوع الغلاف ، وقال كاتبه في ديباجته
انه نقلا من أصول الانجيل الحقيقى .

رأس الزاوية من قبل الرب . كان هذا وهو عجيب في أعيننا ، لذلك
 أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل ثماره » .
 ان هذه الفقرات تشير الى تبشير السيد المسيح بالنبي محمد
 صلوات الله عليه والذي يصفه بأنه الحجر رأس الزاوية أى المتمم
 للبناء الذى بدأ به الأنبياء والمرسلون من آدم حتى المسيح عليهم
 جميعا السلام ، وأن هذا النبي سيرفضه قومه لانهم لا يعرفونه
 لعمى أصاب بصائرهم ورين طمس على قلوبهم مع أنه من قبل
 (الرب) الله ، وكذلك اليهود والنصارى وذلك واضح فى أن
 الخطاب موجه للسابقين واللاحقين ، كما يشير المسيح الى الدهشة
 التى سبتستولى على القوم الذين يبعث فيهم ، ولكنه يقول :
 ان أمة هذا النبي ستكون خير الامم بعملها وايمانها الذى يجعلها
 جديرة بانتزاع ملكوت السموات ، وذلك عن طريق الاعتراف بجميع
 الرسل بما فيهم المسيح المكمل للناموس كما علمهم القرآن فى سورة
 آل عمران : (قل آمنوا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم
 واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى
 والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .
 ومن هنا آمن المسلمون بما أنزل اليهم من ربهم والمؤمنون -
 كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرقون بين أحد من رسله
 وذلك ما ورد فى سورة البقرة « آمن الرسول بما أنزل اليه من
 ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين
 أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .
 وبهذا الايمان ، وبانتزاع ملكوت السموات استحق المؤمنون
 من أتباع ذلك الرسول صلوات الله عليه والذين يكرمون كل تكريم

من الله الذى خاطبهم فى سورة آل عمران « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وفى نفس الانجيل فى الاصحاح الخامس الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة قال المسيح : فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » .

والكل هنا كما سبقت اليه الاشارة هو القرآن الكريم الذى فيه نبأ السلف وأخبار الخلف ، فيه قصص من سبق من الأنبياء وابتلائهم على أيدي أقوامهم . فيه هدى للمتقين ووعيد للكافرين ، وتنظيم للحياتين الدنيا والآخرة روح من رب العالمين نزل على قلب بشر لم يؤت من قبل فنون الكلام ، وما كان يدرى ما الكتاب ولا الايمان كما جاء فى سورة الشورى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانتك نتهدي الى صراط مستقيم » وقد ورد فى نفس الانجيل الاصحاح الاول ان المسيح من سلالة ابراهيم عليه السلام وأنه جاء لخراف بنى اسرائيل الضالة ، ونحن نعرف أن اسرائيل (يعقوب) عليه السلام ابن ابراهيم عليه السلام ، وكذلك النبى محمد هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وأنه جاء ليتم الرسالة التى بدأها جده عليه السلام . جاء للناس كافة يدعوهم الى عبادة الله وحده والتمسك بدين ابراهيم ورسالة الحنيفية السمحاء كما أمر من ربه فى سورة آل عمران : أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

والمسيح عليه السلام لم يال جهدا فى التأكيد بمجىء النبى
عليه الصلاة والسلام ذلك النبى روح الحق المعزى الذى يكون
رحمة للعالمين .

« ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وانا اطلب من الآب
فيعطىكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد ، روح الحق المعزى
الذى لا يقبله العالم لأنه لا يعرفه » .

واشارة المسيح تحمل معنى واحدا لا يحتمل أى تأويل هو أن
ذلك الروح الحق المعزى جاء للناس كافة لان كلمة العالم تشير
الى الجمع أى الى أهل الارض جميعا .

وقد أراد بعض أعداء الاسلام أن يضربوه بسهامهم فارتدت
تلك السهام الى نحورهم ، أرادوا به كيذا فاذا هم الأخسرون ،
أرادوا أن يقولوا ان الروح هو كتاب من عند الله فجاءت اشارتهم
الى القرآن وهم لا يعلمون .

فاذا كان الروح بشرا نبيا فهو محمد الرسول المرسل رحمة
للعالمين ولن ترضى عنه اليهود ولا النصارى ، كما جاء ان العالم
سيرفضه لأنه يرفض أن يتبع ملتهم التى استحدثوها وابتدعوها
كقول الله فى سورة البقرة : « وما أرسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ، ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » . وكما جاء فى سورة
الانبياء : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

وان كان كتابا منزلا من عند الله فهو القرآن الكريم الذى نزل

على صدر محمد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، آية فى
الاعجاز .

ودليلنا على نبوة خاتم المرسلين ، الذى أوحى به اليه تفصيلا
من رب العالمين وروحا من أمره كما هو فى الآية التى وردت فى
آخر سورة الشورى وأشرنا إليها فى الصفحات السابقة : « وكذلك
أوحينا اليك روحا من أمرنا . . . » الآية .

والمعلوم أن كل رسول يأتى الى قومه برسالة تتفق وظروفهم
وتتناسب وعقولهم وبيئاتهم ، وكل نبي من الأنبياء لرسالته حدود
لمن يتعدها ، لأنه أمر ممن سبق علمه أن ادراك ومفاهيم خلقه فى
ذلك العهد لا تحتمل أكثر مما ألقى اليهم من رسولهم .

وهذه الملاحظة أشار إليها السيد المسيح عليه السلام فى عبارته :
« إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن
تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى
جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه ، بكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم
بأمور آتية » .

والمسيح يبصر أمته بأن لديه أسراراً كثيرة تفوق طاقة احتمالهم
وأنه سيأتى الوقت المناسب لجدى الرسول الذى يعنيه بالسروح
الحق ، فتكون العقول قد تفتحت ، والقلوب قد ذهب عنها رينها
والنفوس قد ألهمت بعد فجورها بتقواها ، فى هذه اللحظة فقط
يكون الناس قد استعدت أفهامهم واتسعت مداركهم لاحتمال كل
ما يلقي اليهم على لسان هذا النبي الذى لا يتكلم من نفسه . إنما
من وحي يوحى اليه .

اذن المسيح يشير الى محمد صلوات الله عليه الذى اوحى اليه
من ربه بالقرآن الذى نزل « تبياننا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين » لا من نفسه انما هو وحى يوحى اليه « وما ينطق عن
الهلوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى » .

وبعد هذا السرد الموجز الذى سمح به المقام نختمم باشارة
لها قيمتها من حيث تدعيم ما سبق سرده ، وهذه الاشارة نأخذها
من كتاب « المسيح الصريح » الجزء الاول ص ١٧٣ : Clear chris
للمؤرخ الالمانى Lodtig لودفيج . وهذا المؤلف الذى يحتوى على
أربعة أجزاء والمترجم من اللغة الالمانية الى عدة لغات منها اللغة
الانجليزية التى أخذنا منها نص القصة التى سنوردها لتكون من
أكبر الأدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتي تقول :

« ذهب وفد من مسيحي العرب الذين كانوا يسكنون يثرب الى
نبي العرب محمد وكان الوفد مكونا من ثلاثة أشخاص أولهم يسمى
« عبد المسيح » وكان أمير قومه والثانى يسمى « أثيؤس » وكان
مسجل أصول الأسر وسلسلة النسب ، والثالث يدعى « ميتاؤس »
وكان أسقفا وسط قومه يشار اليه بالبنان .

وكان « ميتاؤس » متعجرفا ظهرت صورة عجرفته فى امتطائه
ظهر بغلته وهو يحدث النبي ، وفى جوار بغلته وقف أخوه
« ايكوزناس » الذى اهتز غضبا لظهور معجزة لهذا النبي بأن
غاصت أرجل بغلة « ميتاؤس » فى الرمال مما جعله يوجه ألفاظا
نابية الى محمد . مما جعل « ميتاؤس » يعنف أخاه « الكوزناس »
ويقول له : ان الكتب التى لدينا تقول ان هذا نبي ، ولولا شرفنا

فى قومنا وخوفنا من ضياع هيبتنا بين الرومان الـذين يعينوننا
بالأموال لاتبعناه وبشرنا به بين قومنا .

وبالرجوع الى كتب السيرة الإسلامية وجدنا أصلاً لهذه
القصة فى سيرة النبى لابن هشام وزادت أن كوزناس أسلم وسى
(كوز بن علقمة) وبشر بما سمع من أخيه .

وفى الكتاب ذاته فى الصفحة رقم ٢٠٨ يروى للكاتب أن أحد
الرهبان قال ان صفات محمد مكتوبة عندهم فى الرضائع المختومة
التي لا يمكن أن تكون فى تناول اليد ، ولم يشر المؤلف الى اسم
الراهب ولا الى اسم المكان الذى حفظت فيه هذه الرضائع .

اذن محمد صلى الله عليه وسلم نبى ورسول وهو خاتم الأنبياء
ويتمم الأنبياء ومتمم الناموس الذى نزل عليه الكتاب المتمم
للناموس وهو الذى أشار اليه السيد المسيح عليه السلام ، على أنه
هو الروح المعزى ، والحجر رأس الزاوية المتمم لجميع نواميس
الانبياء وخاتم المرسلين .

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ،
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا
وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف
الميعاد » .

الفصل الخامس عشر

موقف الإسلام من المسيح والمسيحية

من الحق المكتسب للقارىء الذى عرف فى الفصل السابق اعترافات المسيحية وتنبؤات السيد المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يقف على رأى الإسلام فى المسيح والمسيحية ، ولذا كان من الضرورى أن نوضح ذلك ولو فى عجالة موجزة تنى بالغرض المطلوب .

قلنا فيما سبق ان الإسلام دين الناس كافة اعترف بما سبقه من الاديان والرسل ، وأشرنا الى آيات الايمان بما أنزل على الرسل لاتفرق بين رسول ورسول ، وفى مواضع متعددة تجل عن الحصر تعرض القرآن لذكر الانبياء ورسالاتهم وأخبار أقوامهم معهم وما لاقوه فى

سبيل تبليغ رسالاتهم . بل تعرض الى صفات كل نبي ، فقد ورد عن اسماعيل أنه صادق الوعد وكان نبيا . وابراهيم أنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان جنيفا مسلما ، هكذا عرض القرآن صفات كل نبي والغاية من بعثه فى قومه ، والمعجزات والآيات التى صنعها الله على يديه .

وفى سورة آل عمران حدد الله شخصية المسيح الانسان بقوله: « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

وفى سورة النساء يوضح لنا موقف المسيح من ربه ، ومدى اعتزازه بالعبودية لله عز وجل فيقول : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا » .

وفى سورة المائدة ينعت الله الذين ألهاوا المسيح بالكفر ويتوعدهم بالعذاب الأليم بقوله جل ثناؤه : لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم . قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد الله أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا . ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير » .

ومع ما وصف الله به الذين قالوا ان المسيح اله الا أنه لم ينقص المسيح وأمه شيئا ، فقد أعلى منزلة مريم الى درجة الاصطفاء والتطهير بقوله تقدست أسماؤه وتباركت ألأوه فى سورة آل عمران :

« وان قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين » •

ومع هذا الاصطفاء والتطهير ، وزيادة فيهما وتكريما لها يأمرها
بما أمر عباده المرسلين والمخلصين « يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين » •

وفى سورة المائدة يحدد صفة المسيح وماهيته ووظيفته ثم
تقتضى حكمة الحكيم ألا يترك قولاً لجاحد مفتر ، فيحدد صفة
مريم أم المسيح بقوله عز شأنه : « ما المسيح بن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر
كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون » •

وفى سورة مريم نجد القرآن قد أورد وصف المسيح ومقامه
على لسان المسيح نفسه : « قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى
نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت
حيا ، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم
ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » •

وفى نفس السياق يعقب الله عز وجل على قول عيسى عليه
السلام فى سياق قرآنى بديع من أروع أمثلة الحجاج القرآنى
فيقول سبحانه وتعالى فى نفس السورة : « ذلك عيسى بن مريم قول
الحق الذى فيه يمترون • ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا
قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » •

وفى أسلوب ربانى يسوق الله الحجة على لسان عيسى عليه
السلام حين يسأله صاحب العلم بالاجابة جل جلاله فى سورة

المائدة : « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟ » •

فيجيب عيسى عليه السلام باجابة كلها خضوع لله وخشوع واقرار بالعبودية واعتراف بالوحدانية : « قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد » •

ثم يفوض أمرهم الى خالقهم بقوله :

« ان تعذبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم » •

شتان بين موقف أتباع المسيح ومن يدعون أنهم أتباعه وحواريوه وبين موقف القرآن الكريم من المسيح ، فقد أساء اليه الذين يقولون أنهم تلاميذه وحواريوه حين ألوهه وأمه بقرلهم - انه اله وانها والدة الاله •

ولكن الله الذى يجتبى رسله أبى الا أن يكرم المسيح فى رسالة محمد بن عبد الله ، فقد كرمه القرآن أعلا تكريم ووضع فى أعز المنازل بين أقرانه من الانبياء والمرسلين •

فتارة يصفه بأنه البشير النذير وكلمة الله الى مريم ، والوجيه فى الدنيا والآخرة ، والقربى من الله عز وجل فى الدارين فيقول

عز وجل فى سورة آل عمران على لسان الملائكة الى مريم :
« ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى
الدنيا والآخرة ومن المقربين » وفى نفس السورة يخاطب الله
عيسى عليه السلام : « انا قال الله يا عيسى اثنى متوفيك ورافعك الى
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » •

وفى سورة النساء يصف الله نبيه أنه روح من الله بقوله تعالى:
« انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه » •

وفى سورة المائدة بين الله عز وجل رسالة عيسى الى قومه
ومركزه فى ركب الرسل الذين أتوا من عند الله رسول تلو رسول
فقد قال صاحب الاسماء الحسنى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن
مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى
ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين » •

ولقد أيد الله المسيح عيسى بمعجزات وآيات بينات ثبت بها
فؤاده ونصره على قومه ، كما جاء فى سورة المائدة : « ان قال
الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك • ان ايدتك
بروح القدس تكلم الناس فى المهدي وكهلا • وان علمتك الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل وان تخلق من الطين كهيئة الطير
باذنى ، فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الاكمله والابصر
باذنى ، وان تخرج الموتى باذنى ، وان كفت بنى اسرائيل عنك
ان جنتهم بالبينات • فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين،

وإذا أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنوا
• واشهد بأننا مسلمون » •

ويدافع الله عن نبيه ويكفر من قال بألوهيته فى سورة المائدة
« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم » •

وفى نفس السورة يقول الله على لسان عيسى المسيح الذى
يأمر أتباعه أن يعبدوا الله وحده : وقال المسيح يا بنى اسرائيل
اعبدوا الله ربى وربكم وأنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ،
ومأواه النار وما للظالمين من انصار » •

ويتضح رأى الاسلام فى التثليث حيث يقول الله عز وجل فى
سورة المائدة : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من
اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور
رحيم » •

وكما قدمنا ان البنوة بالنسبة للخلق جميعا جراءة مجحفة فى
حق الله عز وجل ، وبنوة المسيح لله شرك • وقد فند القرآن هذه
المزاعم فى سورة المائدة حينما رد على اليهود والنصارى حين قال
الاولون انهم شعب الله المختار ، وقال الآخرون نحن أبناء الله
يقوله تعالى : « قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ،
قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ،
ويعذب من يشاء والله ملك السموات والارض وما بينهما واليه
المصير » •

ثم يفند القرآن مزاعم القوم فى نقطة حساسة نقطة صلب المسيح عليه السلام فبعد أن يبرىء المسيح وأمه يشير الى أن قومه اعتبروه شخصية وهمية بنوها على الظن ثم يرد اعتباره اليه وذلك فى سورة النساء يقول الله عز وجل : « ويكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه • ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا • بل رفعه الله اليه • وكان الله عزيزاً حكيماً » •

والقرآن يوجه فصل الخطاب وينادى أهل الكتاب أن الله واحد لا شريك له ، واحد فى الذات والصفات ، فليستمعوا الى الأمر ويوحدوا ربهم ويؤمنوا به وينتهوا عن الافتراءات ، فيقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء : « فآمنوا بالله ورسوله • ولا تقولوا ثلاثة • انتهوا خيراً لكم ، انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد • له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلاً » •

هذا موقف الاسلام ، الرسالة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام من عيسى المسيح عبد الله ورسوله ، وذلك موقف السذجين يدعون أنهم يؤمنون بالمسيح فأى الموقفين أكرم ؟ •••••
ممالا مرية فيه أن ما ورد فى القرآن هو قول الحق الذى فيه يمترون فان ينتهوا فهو خير لهم ، والله ليس بغافل عما يفترون •
ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نذكر موقف الاسلام من الأمة المسيحية بعد أن وضح موقفه من المسيح ، لان الاسلام دين الحق الذى بعث الله به محمدا ليظهره على الدين كله ، كان حتماً أن يكون موقفه موقف الذى يريد أن يجمع شتات القوم بدعوته اليهم ليدخلهم فى حظيرة الايمان •

فبعد أن دعا الله النصرارى بجميع أساليب الحجة وأفانين
الدعوة الحسنة الى الايمان ، كدعوة الله اليهم ، بأن أمر نبيه مثلا
أن يناظر وفداً من نصرارى نجران فى سورة آل عمران : « فمن
حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندع أبناءنا
وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل
فنجعل لعنة الله على الكاذبين » •

وبعد أن دعاهم الى الايمان بالله فى محاجة سليمة فى نفس
السورة : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً
ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً
أرباباً من دون الله • فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » •

بعد هذا كله لم نجد أن الاسلام الا وقد أمر المسلمين بالود
والاقتسام اليهم • ولم يجردهم من حقوقهم فى المجتمع وان قول الله
تعالى فى ذلك لأبلغ مما نقول : « لينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان
الله يحب المقسطين » •

وكما كان موقف القرآن كان موقف محمد صلوات الله عليه ،
فقد جعل لهم ما للمسلمين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من
الواجبات ، وأمر بصيانة معابدهم ، وأعطاهم حرية العبادة ، فلم
يهدم صومعة ، ولم يحرم على عابد عبادته ، بل نزلت الآيات فى
القرآن الكريم تفرق بينهم وبين اليهود الذين آذوا المسلمين ،
وكانوا فتنة ، وان أبلغ وصف للمسيحيين لتجده فى سورة المائدة
قول الله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود

والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا
إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ،
وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومألنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين ، فاتابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » •

وهكذا كانت دعوة الاسلام كلها سماحة لانها الحنيفية
السمحاء ، تقرر حرية الاديان ، حرية العبادة ، تكفل الحرية
والمساواة لأتباع المسيح ماداموا على دفع الجزية ، فى الوقت
الذى يدفع فيه المسلمون الزكاة •

والفرق بين الجزية والزكاة ، أن الجزية يدفعها دافعها
كضريبة للدولة التى تحميه وتكفل له الحياة الحرة ، وأما الزكاة
فهى فرض عين على كل مسلم وهى ضمن الشعائر التعبدية يدفعها
دافعها بوحى من الايمان وبوحى من الضمير •

نعم ان الاسلام كرم المسيح والمسيحيين ، وقدم اليهم الألف
مفتوحة للدخول فى دائرة الايمان الصحيح ، ألم يكن حقا على
كل منصف أن يتذوق حلاوة الايمان ويأتى الى كلمة سواء هيات
له الحياة فى الدارين ، نعم ان ذلك دين القيمة ، نعم رضيت بالله
وبا بالاسلام ديننا وبسيدنا محمد نبيا ورسولا ، اللهم انى أشهدك
وأشهد جميع خلقك وملائكتك أنك أنت الله ربى لا شريك لك ، وأن
محمدا عبدك ورسولك •

الفصل السادس عشر منهج الإسلام في إصلاح عقائد الألوهية والربوبية

وجدت كل ما درست من أديان
قبل دراستي للإسلام قد انحرفت
بعقائدها انحرافا شنيعا ، ولم يكن
هذا الانحراف وفقا على الامم
الوثنية ، بل طغى أيضا على
أصحاب الأديان السماوية ، حيث قد
لعبت أيدي القيادات الدينية في كتب
الأنبياء والمرسلين ، فحرفوا فيها
وبدلوا وغيروا متعمدين بسوء
نياتهم ، وشوهوا جلال التوحيد في
كتب هؤلاء الأنبياء وشرائع المرسلين
ودرست هذا الضلال الشائع في
عقائدهم والمستولى على تدينهم ،
حتى ثبت الى رشدى وبدأت أتسم
رائحة هذا الضلال وبدأت الدرس
والبحث والتمحيص حتى وصلت الى
دراسة الاسلام •

تفوجدت أن الاسلام قد حرر العقول من الاباطيل والخرافات ،
بأصلاح ما ضل من العقائد وما فسد من الاعمال ، وكشف عن
جنايات المتلاعبين والمخرفين والمبدلين وتجار الاديان ، وكان اصلاح
ما أفسدته هذه الشرذمة الخارجة عن رحمة الله أول ما عنى به
الاسلام وهو تصحيح هذه الاوضاع الفاسدة ، لان تصحيح هذه
الايوضاع هو من أهم الاسس فى كل تشريع سماوى :

فقد عنى القرآن الكريم بتوضيح عقائد الالهية والربوبية
عناية كبرى ، فى أساليب أخذت بمجامع القلوب والعقول البلاغية
وقوتها الروحية القدسية ، واشتمالها على قضايا العقل والعام ،
وودائع الفطرة والوجدان ، وتصويرها للمعاني والاحكام فى
ابداع مما لا يدع حجة لمحتج ولا معذرة لمعتذر .

ولقد عالج القرآن هذه الامور - أمور الالهية - بأساليب
متعددة نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر :

وجه العقول والافكار الى النظر فى ملكوت السموات
والارض وما فيها من الآيات الكونية والادلة العلمية على وجود الله
الذى خلقها ، وكيف تجلت قدرته وعظمته وهى تشهد بذلك كما قال
سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران :

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات
للأولى الالباب » .

وفى سورة ق : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بيناها
وزيناها ومالها من فروج ، والارض مددناها وألقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » .

وفى سورة الذاريات : « وفى الارض آيات للموقنين ، وفى
أنفسكم أفلا تبصرون » •

وفى سورة يس : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم
مظلومون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ،
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي
لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » •
ان هذه الآيات ومئات الآيات الواردة فى القرآن الكريم صحفاً
نقرأ فيها دلائل وجود الله عز وجل ، ونطالع فى كلماتها قدرته جن
جلاله فى الخلق والتدبير وجماله تبارك وتعالى فى بدائع
الموجودات •

فالعوالم الكونية هى الرياض الفيحاء التى تتفتح فيها براعم
الاحاسيس والمشاعر ، ومسرح من مسارح تبصرة القلوب النقية
والبصائر المستنيرة •

فإذا نظر الانسان الى نفسه وكيف خلق من العدم ، وكيف
خلق أطواراً فى بطن أمه من نطفة فى قرار مكين ، الى علقه ، ثم
مضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثم جعل الله المضغة عظاما ثم كما
العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن اللخالقين ، وبما
جرى عليه فى نشأته وحياته ، فى طفولته وشبابه ومشيبه ، فإذا
به مشمول بالعناية الالهية •

ثم نظر الى الارض كيف جعلها الله فراشا وأنزل عليها الماء
فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ثم قال للانسان فى سورة
الملك :

« هو الذى جعل لكم الارض نلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

ثم أنظر الى السماء كيف أحكم الله بناءها ورفعها بغير عمد تراها ، والى الشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها ، والى الكواكب فى لمعانها وهى تسبح فى أفلاكها بحمد خالقها ومبدعها لقوله تعالى فى سورة الاسراء : « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا » .

أو تدبر قول الله فى سورة الواقعة : « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » وفى سورة الحاقة : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » وأدرك مافى هذا القسم الالهى من توجيه للنظر وايقاظ للفكر واثارة للعبير ، وتنويه بشأن هذه المواقع التى أقسم الله بها ، ومافيه من الدلائل على عظمة المبدع وجلال الخالق ، وأخذ يفكر فى عظم هذه المواقع التى أعظم الله شأن القسم بها ، ويسائل نفسه عن مدى هذه العوالم التى لا نبصرها ولا نعلمها وعرف أن منها ما يحيط بنا ويشاركنا فى وجودنا وحياتنا ولكنها لا تزال محجوبة عن العلم رغم اتساعه وتقدمه ومنها ما يغيب عنا وراء حجب الغيب وأبعاد الفضاء ، فلا تدركها الابصار ولا تحيط بعظمتها العقول والافهام اذ لا يحيط بالعوالم الكونية الا الذى خلقها وأبدعها .

اذا هدى الانسان الى كل هذه الانظار أو الى بعضها ، فانه يجد نفسه منساقا بدافع قوى من عقله وفكره ، وجاذب شديد من

ضميره ووجدانه الى الايمان بالله الصانع المقتدر الذى خلق هذه
العوالم الكونية بقدره ومشية العليم الخبير الذى أحكم تقديرها
وتنظيمها بعلمه وارادته ، المدير الحكيم الذى يدبر أمورها ويصرف
شئونها بحكمته ورعايته •

ومن هنا نجد أن طريق الوصول الى معرفة الله والايمان به
واضح المعالم قريب المنال ، متى صلحت القلوب واستنارت
البصائر ، وتحررت النفوس من ظلمة الجهل وطغيان الهوى ،
واستقامت العقول فى نظرها وتفكيرها واتجهت بمقاصدها الى
طلب الحق والكمال وصحة الاعتقاد ، وخضعت فى أحكامها لدلالة
الحجة والبرهان ، واستجابت فى تفكيرها لوحى الفطرة والوجدان
فان وجود الله تعالى ماثل أمام العقول فى جميع الكائنات ،
والاحساس بالوهيته وربوبيته كامن فى أعماق النفوس ، والشعور
بعظمته وجلاله منبث فى حنايا الضلوع ، ولكن أكثر الناس ضلوا
عن هذه الحقائق وهى على كثر منهم •

فريق حجبه الف العادة أو ظلمة الجهل والتقليد الاعمى عن
الاستماع لوحى الله أى وحى الفطرة والوجدان ، فغفل عن النظر
فى آيات الله الكونية فعموا عن دلائلها التى تطالعهم بها فأصبحوا
عنها معرضين كما قال تعالى فى سورة يونس : « وان كثيرا من
الناس عن آياتنا لغافلون » ، وفى سورة يوسف : « وكأين من آية
فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » •

وفريق حجبه عن هذه الحقائق مرض القلوب ، واعتلال
البصائر ، وانحراف العقول فى نظرها وتفكيرها ، والخضوع

لسيطرة الاهواء وطغيانها ، والاقبال على شئون الدنيا ، والاعراض عن شئون الآخرة ففرحوا بالحياة الدنيا وكفروا بآيات ربهم ولقائه ، وضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا كما يشير الى ذلك قول الله تعالى فى سورة الرعد : « وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع » وفى سورة الكهف : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا » .

وقد وجه القرآن الناس الى البراهين العقلية على وحدانية الله عز وجل وأنه تعالى لا اله غيره ولا رب سواه ، كقوله تعالى فى سورة المؤمنون : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » ، وفى سورة الاسراء : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون ، اذا لايتغوا الى ذى العرش سييلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » ، وفى سورة الانبياء : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » .

ان الخلق والايجاد ، والقهر والغلبة ونفوذ السلطان والارادة هى من أخص شئون الالهية وصفات الربوبية فلا يجوز فى حكم العقل أن يكون الاله عاجزا مغلوبا على أمره أو مقهورا لسلطان غيره خاضعا لارادته لمنافاة ذلك لصفات الالهية والربوبية ، فلو كان مع الله آلهة كما يزعم القائلون بتعدد الآلهة ، لوقع التنازع

والتصادم بينهم فى الافعال والارادات ، والنفوذ والسلطان ،
ولذهب كل اله بما خلق واستقل بتدبير أموره وتصريف شئونه ،
ومنع غيره من الاستيلاء عليه أو التصريف فى شئونه ، ولعلا
بعضهم على بعض بالقهر والغلبة وتنازع السلطان ، ولطلبوا
سبيلا للوصول الى صاحب العرش وهو الله جل جلاله الذى أخبر
على السنة رسله بأنه هو مالك الملك وحده ، ليقاتلوه وينازعوه
الملك والسلطان والنفوذ .

كما وجه القرآن الى الاخذ بالفطرة السليمة ، ومراجعة
الضمير والسريرة كما أخذ الحجة من المعانسين ليقيمها عليهم
بما يعترفون به فى قرارة نفوسهم وما يعلمونه حق العلم بوحى
فطريهم وأحاسيسهم كقوله تعالى فى سورة العنكبوت : « ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن
الله فأنى يؤفكون » .

وفى سورة يونس : « قل من يرزقكم من السماء والارض ،
أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج
الميت من الحى ، ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ،
فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضلال ، فأنى
تصرفون » .

يتبين من الآيات أن رسول الله صلوات الله عليه بلى بهؤلاء
الذين زاغوا عن فطرتهم مما جعل الله سبحانه وتعالى يسألهم على
لسانه ، عن خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ، ومن
يرزقهم من السماء والارض . ومن يملك الاسماع والابصار خلقا

وحفظاً ومن يخرج الجى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن
يدبر أمر الكائنات كلها وهو يعلم سبحانه وتعالى بأنهم سيجيئون
وسيعترفون بإسناد ذلك كله لله .

ويقرر القرآن عقائد التقديس والتنزيه عن صفات الحوادث
كما فى قوله تعالى فى سورة الانعام : « بديع السموات والارض
الذى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء
عليم » . وفى سورة مريم : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد
جئتم شيئا ادا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتتشقق الارض وتخز
الجبال هيا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ
ولدا ، ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا » .
وقوله تعالى فى سورة الاخلاص : قل هو الله احد ، الله الصمد ،
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » .

فالله جل جلاله واحسد فى ذاته العلية منزّه عز التركيب
والتجسيم والتحيز وهو سبحانه الصمد ، أى السيد الذى ليس
فوقه سيد ، والذى يصمد اليه ويقصد فى الحوائج والمطالب ، وهو
الغنى المطلق الذى لا يحتاج الى شىء ويحتاج اليه كل شىء ،
والمقصود الذى يقصده كل كائن حى ، كل شىء بارادته « لم يلد
ولم يولد » ، أى لم يلد احدا ، لأن الوالدية تستلزم التركيب
والمجانسة ، لان الولد جزء من ابيه . ومجانس له فى ذاته
وصفاته ، ولم يلده احد لان المولودية تستلزم التركيب والمجانسة
والمماثلة ، والحدوث وسبق العدم . والله تعالى منزّه عن ذلك كله
فهو واجب الوجود الذى لا اول لوجوده ولا آخر لبقائه « ولم يكن

له كفوا أحد « أى ليس أحد متكافئاً ومماثلاً له فى ذاته وصفاته وأفعاله ، بل هو الله وحده مثلما وصف نفسه تبارك وتعالى فى سورة الحديد : هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » • أى السابق على جميع الموجودات بلا بداية ، والباقي بعد فنائها بلا نهاية ، والظاهر وجوده فى بدائع الكائنات ، والمحتجب بذاته تعالى عن ادراك الحواس والعقول وهو بكل شىء عليم •

ولم تقف عناية الاسلام بمقائد التنزيه والتقدیس عند تقريرها وتفصيل أصولها ، بل حاطها بسياج من الاحتياط وسلامة الاعتقاد والتحفظ والاعتدال فى النظر والتفكير ، وسد على الرهم والغميال منافذ التشبيه ومسالك الزلل • كما فى قوله تعالى فى سورة الأنعام : « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » ، وفى سورة طه : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » ، وفى سورة الشورى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » •

الى غير ذلك من الآيات التى تقرر أن الله جل جلاله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الحواس • وتعالى ذاته العلية عن الاحاطة والادراك وتنزهت صفاته القدسية عن المماثلة • ونبى الاسلام يشهد دائماً لله بالوحدانية « انما الهكم اله واحد » كما أمر فى سورة الكهف : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » ، ومن هذا الرحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن

الأبصار وان الملائ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه انتم »

وكان الاسلام حريصا على عقائد الناس ولذا وجههم الى التفكير فى صفات الله عز وجل وعدم التفكير فى ذاته العلية لان ذاته العلية غير محاطة بزمان أو بمكان ، وذلك لقول الاسلام ونبى الاسلام صلوات الله عليه « تفكروا فى مخلوقات الله ولا تتفكروا فى ذاته » .

هذا هو منهج الاسلام فى الألوهية والربوبية ، وهذا موقف نبى الاسلام من الوحدانية . وانى قد آمنت بالله الواحد رباً ، وبمحمد نبيا ورسولا ورضيت الاسلام ديننا وبرئت من كل دين يخالف دين الاسلام .

الفصل السابع عشر لماذا آمنت بالاسلام ؟

لعل القارىء يقول عرفنا نواحي
الشك التى استولت على المؤلف حتى
ترك دينه ، ولكننا لم نعرف لماذا آمن
بالاسلام ؟

وجوابى يا أخى القارىء على
سؤالك يحتاج الى مجلدات ضخمة
وقد سبقنى بها أفاضل العلماء الذين
حملوا مشاعل الدعوة الاسلامية
ولكن لا يمنعنى هذا من أن أجيب فى
ايجاز لان هذا من حقه ..

آمنت بالاسلام لانه دين التوحيد
الخالص الذى دعا الناس الى عبادة
الله وحده ، ويتجلى ذلك فى نداء
المؤذن : أشهد أن لا اله الا الله
وأشهد أن محمدا رسول الله «
فيشهد الدنيا كلها أنه لا ايمان الا

بإله واحد أحد • خالق رازق ، قادر بيده الملك وهو على كل شيء
قدير ، وقد أفاض الله على من فضله فوضحت ذلك فى الفصل
السابق •

آمنت بالاسلام لانه لم يضع الأغلال فى عنق الانسان ولم
يلزمه بخطيئة موروثه عن أب أو جد ، انما ألزمه طائره فى عنقه
ليكون مجزيا عما قدمت يداه ، فيقول سبحانه وتعالى : « وكل
انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه
منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا • من اهتدى
فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر
أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١)

وإذا أخطأ الانسان أو أذنب ، لم ولن يغلق الله فى وجهه باب
التوبة ، وانما يقبل توبته له ويناديه كما ينادى جميع المذنبين :
« أن تعالوا الى أيها المذنبون وأنا أتوب عليكم : » وسارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض » (٢) •

والاسلام يحب التوبة والله سبحانه وتعالى يأمر بها عباده
اذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا » هذا
معنى يدل على شدة الرغبة فى أن يعود العبد الى الله ويرجع
الى حمى الله ، ومن جهة أخرى نرى الحديث الشريف يقول :
« ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار

(١) سورة الاسراء

(٢) سورة آل عمران

ليتوب مساء الليل حتى تشرق الشمس من مغربها » .

هذا تصوير رائع ، لأن بسط اليد كناية عن الطلب ، والطالب لابد أن يكون راغبا ولا بد أن يكون متقبلا « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » بل ان الله سبحانه بشرع عباده فى آيات مبشرات كثيرة « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم ، (ويقول سبحانه : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ») .

ولم يجعل الاسلام المغفرة وقفا على سفك دماء أو جريمة قتل ، ولم يجعل الله واسطة بين العبد وربيه فى هذه التوبة حفظا للكرامة وأنه ليس بين العبد وبين الرجوع الا أن يتوب الى الله سبحانه وتعالى ويندم (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار) ويقول لنا الحديث الشريف (ان الله سبحانه وتعالى اذا تقربت اليه ذراعا تقرب اليك باعا واذا أتيته تمشى أتاك يهرول) .

اذن ليس هناك شرط الاعتراف حتى تقبل التوبة ، والا فتصور أن امرأة أو فتاة مذنبه وقع منها أمر فاحش فجلست أمام كاهن أو راهب أو قسيس لتدلى اليه باعترافها وتقول له انى قد أذنبت ذنب كذا : زنيت أو فحشت أو ما الى ذلك ، أليست بذلك تعرض سرها للانكشاف وتعرض كرامتها للضياع وتعرض حصانتها للتزلزل

وتجعل هذا الرجل باعتباره بشرا يطمع فيها ويعلم أنها من الصنف
الذى يتقبل ؟

أين هذا من الاسلام الذى يقول (ونحن أقرب اليه من جبل
الوريد) وصدق الله العظيم (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد أن
يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ،
يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) .

أمنت بالاسلام لأنه لم يمتحن كرامة الانسان ، ولم يجعل أحدا
مهيمنًا على أمور الدين فيقول لتابعه اتبعنى دون تفكير أو تعقل
انما جعل الانسان حرا فى هذه الحياة لا ينحنى أمام الضغوط
الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، لا يعرف غير واجبه نحو
ربه .

أمنت بالاسلام لأنه شرائع ونظم اجتماعية لا تعرف تضخما
للجانب التعبدى عن الجانب الاجتماعى لقول الله تعالى (يا أيها
الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر
الله ، وذرؤا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله .

وعلى هذا النهج سار محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه
واتباعه يعملون للعقيدة والحياة فى آن واحد ، فيمزجون العقيدة
بالحياة ، ولا يقفون بها فى معزل وجدانى فى عالم الضمير
. ويتضح ذلك من المثل الذى ضربه رسول الله صلى الله عليه

وسلم عندما جاء ثلاثة رجال ، قال أحدهم : أنا أضلى الليل كله ، وقال الثانى : وأنا أصوم الدهر كله ولا أفطر ، وقال الثالث : أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له • ولكن أصوم وأفطر وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى) رواه الشيخان والنسائى •

أمنت بالاسلام لأنه حض على العلم والتعلم ، بل جعله فريضة مقدسة واجبة الأداء حيث قال الله تعالى (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين وليذنبوا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) (١) والاحاديث النبوية كلها تحض على العلم وتحث عليه فعنه صلى الله عليه وسلم « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » (٢)

والاسلام لم يلزم المسلم أن يتقيد بنوع من أنواع العلوم دون غيره كما لم يفرض عليه طقوسا يؤديها دون تفكير أو مناقشة لكنها ، لأنه دين الفطرة الذى لا يعتمد على الغيبيات أو خوارق العادات والامور ، انما قام على المشاهدة والتأمل والتفكر والتدبر

(١) سورة التوبة

(٢) رواه البيهقى وابن عبد البر ، قال السخاوى فى المقاصد الحسنة : قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث و«مسلمه» وليس لها ذكر فى شيء من طرقه وان كان معناها صحيحا اه •
ص ٢٧٧ •

ولذا نجد الله سبحانه وتعالى فى القرآن يخاطب بعد ذكر العوالم الكونية ، وتطورات الخلق - أولى الالباب - لقوم يعقلون - لقوم يفكرون - للعالمين - لقوم يسمعون - وللقارئ أن يرجع على سبيل المثال لا الحصر الى سورة آل عمران والبقرة والروم .

ويزج الاسلام العلم بالتقوى ويشيد بالعلماء ويرفع منزلتهم ويفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون حيث يقول سبحانه :
(هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (١) ويقول تبارك وتعالى «انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور» (٢)

اذن كان لأبد أن أومن بالاسلام ، لانه فى الوقت الذى تناصب فيه الكنيسة اصحاب الفكر والنهضة العلمية العداء ، نجد الاسلام يشجع العلم والعلماء ويقف بجوارهم ويؤازرهم ويأخذ بيدهم الى مواطن الاستزادة، وذلك واضح فى اشادة القرآن بالعلماء واشادة نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم حين يرفع منزلة العلماء بقوله :
(فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب) .

آمنت بالاسلام لانه قرن العلم بالعمل لقول الله عز وجل
« ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً » (٣) والمقصود بالعمل فى الاسلام العمل الدينى والمسدى والصناعى والزراعى لقوله تعالى :

« لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » (٤)

• (٢) فاطر

• (٤) يس

• (١) الزمر

• (٣) فصلت

ولقول الرسول صلوات الله عليه في حديث رواه الامام أحمد
« ان أشرف الكسب كسب الرجل من يده » * وفي الوقت الذي
حضر الاسلام فيه على العمل جعل العامل مسئولاً عن عمله لقوله
تعالى : (ولتسئلن عما كنتم تعملون) * ونظير هذه المسئولية قد
حفظ الاسلام للعامل حقه فحفظ كرامته وذلك ما رواه البخاري
ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اخوانكم خولكم
جعلهم الله تحت أيديكم » كما أوجب أن يكون العمل على قدر طاقة
العامل لقوله عليه الصلاة والسلام كما روى البخاري ومسلم
« لا تكلفوهم ما لا يطيقون » كما حفظ للعامل حقه في الأجر سواء
كان ذكراً أو أنثى لقول الله تعالى في سورة آل عمران : « اني
لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) ولقول الرسول صلوات
الله عليه في حديث ابن ماجه « اعطوا الأجير حقه قبل أن يجف
عرقه » كما لم يغفل الاسلام حق موظف الدولة فقد روى أحمد
وأبو داود أن الرسول صلوات الله عليه قال « من ولى لنا عملاً
وليس له منزل فليتخذ منزلاً ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس
له دابة فليتخذ دابة » *

آمنت بالاسلام لأنه جعل الامر شورى بين الحاكم والمحكوم
لقوله تعالى في سورة آل عمران : (وشاورهم في الامر فاذا عزمتم
فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) ، وفي سورة الشورى :
(وأمرهم شورى بينهم) *

كما أباح الاسلام النقد الذاتي في حدود الأدب الاسلامي ،
وأول من ضرب هذا المثل عملياً الخليفة الأول أبو بكر حين قال في

خطبته الأولى بعد توليه الخلافة : ان رأيتموني على حق فأعينونني
وان رأيتموني على باطل فسدّدوني .

أمنت بالاسلام .لانه طهر المجتمع من المفاسد التي كانت سائدة
قبل مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتتلخص فيما قال
جعفر بن أبي طالب للملك الحبشة عندما استدعاه ليتأكد من قول
سفيرى قريش عمرو بن العاصى وعبد الله بن أبى ربيعة اللذين
بعث بهما قومهما ليردوا المهاجرين من المسلمين الأوائل الى
الحبشة، وسأله : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا
به فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ .

فكان جواب جعفر « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية . نعبد
الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ونسئ
الجوار ، ويأكل القوى الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله
الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى
الله لنوحده ونعبده ونخالع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من
الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة
الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن
الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات وأمرنا
أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة
والصيام . . . فصدقناه وأمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله
فعبدنا الله وحده » (١)

(١) كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل .

أخى القارىء معذرة لأن المجال لا يتسع للحديث عن تنظيم
الاسلام للأسرة والمجتمع والحياة الاجتماعية والاقتصادية
والحريات بأنواعها والمساواة وغيرها ، لأن هذا الكتاب له نهج
خاص وكما سبق القول ان الاسلام يحتاج لمجلدات وقد فُرجت من
يوم بعث الرسول الى الآن مجلدات لم تف الاسلام حقه . ولكن
ما ذكرت جزء من جزء من بعض الاجابة على سؤالك .

يسعدنى هنا أن أوضح لأخى القارىء : ان لى كتابا متراضعا
عنوانه « الاديان فى كفة الميزان » بمكتبة الخانجى أمام قسم
عابدين بشارع عبد العزيز ، قارنت فيه بين اثنى عشر ديناً وبين
الاسلام تناولت فيه العقيدة ، والانسان والاسرة ، والمجتمع ،
والمساواة الانسانية والاقتصادية والحريات المدنية والسياسية
والدينية والفكرية فى كل دين على حده ثم قارنتها بالاسلام
فرجحت كفة الاسلام .

جعلنا الله جنوداً مخلصين للاسلام نفنى فيه ونحيا من أجله
ونموت عليه انه نعم المولى ونعم النصير .

كلمة لابن منار

بعد آخر كلمة أفاض الله على بها في هذا الكتاب وجدت نفسي في صراع بين الواجب وعوامل متعددة ، إذ مرت بي فترة عصيبة شلت من نشاطي العملي والفكري حتى هيا الله لي رجالا آمنوا بريهم وبحق الانسانية عليهم فغمروني بفيض مآثرهم التي أعادت الي نشاطي مما جعلني أوفق بين الواجب والعوامل ، فلم أنكر أسماءهم واتجهت الي من يعلمهم داعيا : اللهم أكرم من أكرمني لأنني لا أستطيع رد الجميل وتركت لك حسن مجازاتهم ، فجزأوك خير الجزاء .

مراجع الكتاب

مراجع اسلامية :

- القرآن الكريم
- تفسير المنار : للشيخ محمد عبده
- صحيح البخارى
- صحيح مسلم
- كتاب التاج فى الحديث
- سيرة ابن هشام
- حياة محمد : للدكتور محمد حسين هيكل
- الملل والنحل : للشهرستانى

مراجع غير اسلامية :

- الكتاب المقدس : طبعة بيروت
- الخولاجى : غرغارى وباسيلى « طبعة مكتبة المحبة »
- الأجيبة : « طبعة مكتبة المحبة »
- العقائد الكنسية : « طبعة بيروت »
- المسيح الصريح : للمؤرخ الألمانى (لودفيج)

الطبعة الانجليزية :

- المخطوطات القديمة لبعض البطارقة والمطارنة
- التلمود - انجيل برنابا

محتويات الكتاب

صفحة	
٣	الاهداء
٥	تقديم الكتاب بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الدسوقي قيمة العقل فى اعتبار الاسلام « لفضيلة الاستاذ
٧	عبد الرحمن النجار مدير عام المساجد «
٩	مقدمة
١٩	الفصل الأول « الدرج الأول »
٢٤	الفصل الثانى « حذار أن تقول : محمد رسول الله »
٣١	الفصل الثالث « نهاية وبداية »
٣٥	الفصل الرابع « صراع بين العقل والعقيدة »
٣٩	الفصل الخامس « المسيحية وأطوار انحدارها »
٤٧	الفصل السادس « التثليث ونشأته وتحليله »
٥٥	الفصل السابع « قضية ألوهية المسيح »
٦٧	الفصل الثامن « قضية البنوة »
٧٣	الفصل التاسع « الروح القدس »
٧٧	الفصل العاشر « قضية الصلب وتاريخ الصليب »
٩١	الفصل الحادى عشر « ناموس موسى »
٩٩	الفصل الثانى عشر « المسيح والناموس المكمل »
١٠٣	الفصل الثالث عشر « الناموس المتمم »
	الفصل الرابع عشر « اعتراف المسيح والمسيحية بنبوته
١٠٩	محمد صلى الله عليه وسلم
١٢١	الفصل الخامس عشر « موقف الاسلام من المسيح والمسيحية »
	الفصل السادس عشر « منهج الاسلام فى اصلاح عقائد
١٣١	الألوهية والربوبية »

رقم الايداع ١٩٨٠/٣٥٧١

دار المعلم للطباعة

هذا الكتاب

● سمعت عنه وقرأت له قبل أن القاه ، وتأكدت بإحساس المؤمن أن هذا الرجل صادقاً فيما اعتنقه ، وتحول احساسى الى حقيقة حينما تتبعته محاضراً فى الإسلام وداعية له ، ولم يكن هذا بالغريب على انسان اقتنع بالإسلام فهاجر الى الله الواحد ، ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم .
أو كما يقول المؤلف نفسه ٠٠٠

« نعم إن الإسلام كرم المسيح والمسيحيين ، وقدم اليهم الأكف مفتوحة للدخول فى دائرة الإيمان الصحيح ، ألم يكن حقاً على كل منصف أن يتذوق حلاوة الايمان ويأتى الى كلمة سواء هيأت له الحياة فى الدارين ، نعم ان ذلك دين القيمة ، نعم رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً ٠٠٠

اللهم انى اشهدك واشهد جميع خلقك وملائكتك انك انت الله ربى لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، ٠٠

عبد التواب عبد العزيز

الناشر

دار الصرية

أميدان السيدة زينب
تليفون : ٩٠٣٧٠٦ - القاهرة

المن ٦٥